الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي * مغنية *

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة بيداغوجيّة موجّهة لطلبة السّنة الأولى ليسانس نظام (ل.م.د.) بعنوان :

محاضرات في فقه اللّغة العربية

* إعداد الدكتور: دحماني حمـــزة

السنة الجامعية : 2020-2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي * مغنية *

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس نظام (ل.م.د.) بعنوان :

محاضرات في فقه اللّغة العربية

المركز الجامعي مغنية
University Centre of Maghnia

* إعداد الدكتور: دحماني حمـــزة

السنة الجامعية : 2020-2021

توطئة

معهد الآداب و اللغات
المجلس العلمي
المركز الجامعي مغنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقَّ حمده كما يستحقُّ جلالُ وجهه الكريم، والصّلاةُ والسّلامُ على خيرتِهِ من خلقِهِ أجمعين، نبيِّهِ الأمين وعلى آلهِ الطيّبينَ الطّاهرينَ، وصحبهِ الميامينَ رضوانُ اللهِ تعالى عليهم أجمعين.

أمّا بعدُ، فقد كلفت منذ إحدى عشرة سنة بتدريس مجموعة من المقاييس اللغوية بقسم اللغة والأدب العربي بكل من جامعة أم البواقي ،والمركز الجامعي مغنية بعد التحويل إلى هذا الأخير ،وأكثر ما زاولته منها مقياس فقه اللغة العربية الخاص بطلبة السنة الأولى نظام (ل م د) ، حاولت جهد الطاقة في جمع شتات هذه المحاضرات وتيسيرها وتبسيطها حتى تكون في متناول طلبتنا الأعزاء.

وبعد العزيمة على إخراجها ظننت أن الأمر يسير، وأنه لا يحتاج إلى جهد كبير، وأنه مجردُ ترتيب، وعزوُ نقل، وإعادة صياغة؛ فلما توغلت فيه رأيت أنني أمام بحر لا ساحل له.

ولم تكن صعوبة ذلك البحث في دقته، وغموضه، وحاجته إلى الإبداع، والاجتهاد وطول الباع بقدر ما كانت في تشتته، وتفرق موضوعاته، وتجددها، وكون بعضها مطروقاً في كتب الأوائل، وبعضها في كتب المحْدَثين.

وتكمن صعوبته في كون بعض تلك الموضوعات مفرداً في كتاب مطول، وكون بعضها الآخر مختزلاً مختصراً في كتاب يضم عدداً من الموضوعات.ومن هنا كانت الرغبة في جمع ما تيسر من شتات ذلك العلم،وترتيب منثوره وتقريب ما بعد من مسائله، وتقصير بعض تطويله.

وإن مما دفعني إلى كتابة هذه المحاضرات قضاءَ بعضِ الحق للعربية، وبيانَ عظمتها، والوقوفَ على شيء من أسرارها، والتأكيدَ على بيان سعتها، واستيعابِها لكل جديد، وردَّ الدعاوى التي تنادي بوأدها في ربيع حياتها هذا من جهة ،و إيقاف القارئ على شيء من عبقرية علماء السلف الذين كان لهم قصب السبق في دراسة العديد من القضايا اللغوية والصوتية التي تفوق كثيراً من الدراسات الحديثة من جهة ثانية.

و إعانة الدارسين لفقه اللغة، وتيسير وصولهم إليه خصوصاً من يتصدى لتدريس هذا العلم أو دراسته؛ فهم يعانون من تفرق مباحثه في كتب شتى؛ فلعل هذه المحاضرات تعينهم على ما هم بصدده، فيصير هذا العلم لهم على طرف الثُّمام.

ولقد أفدت كثيراً من كتب العلماء والباحثين الذين ألفوا في فقه اللغة، سواء من القدماء أو المحدثين ممن سيرد ذكر لهم ولمؤلفاتهم في ثنايا هذه المحاضرات.

المعهد الآداب و اللغة العربية
المجلس العلمي
المركز الجامعي

وإن كان من فضل في هذه الوريقات فهو الجمع والتنظيم لا غير ،وإني لا أدعي الإتيان بشي جديد في هذه المحاضرات؛لأنه ماذا ترك لنا الأولون من غير الجمع والتنظيم؟. وإني كل ما فعلته هو أني جمعت هذه المحاضرات في بحث واحد ، وبنيت الأراء التي قالها العلماء محاولا مناقشتها بهدف التسهيل على الدارس بصفة عامة والدارس المختص عناء البحث في أمهات الكتب.

ونعتقد جازمين أن هذا العمل ما هو إلا محاولة جادة نبتغي فيها المنفعة العلمية العامة،راجين من المولى عز وجل أن يتقبله منا و أن ينفع به،فإن كان ما قدمناه صوابا فهو من الله وإن كان عكس ذلك فهو من أنفسنا،والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الدكتور: حمزة دحماني

المواصفات المنهجية لمقرر فقه اللغة العربية

المؤسسة التعليمية :المركز الجامعي " مغنية" .

المعهد/القسم: الآداب واللغات / اللغة العربية .

الأسبوع	مفردات المقرر الدراسي	عدد الأسابيع	ساعات المحاضرة
الأول	مدخل عام الى فقه اللغة. (نشأة المصطلح،مفهومه،الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة).	1	1.5
الثاني	نظريات نشأة اللغة الإنسانية. (الوحي والإلهام،التواضع والاصطلاح،المحاكاة.....).	1	1.5
الثالث	اللغة العربية واللغات السامية. (اللغة العربية وليجاتها).	1	1.5
الرابع	العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها.	1	1.5
الخامس	التيسير في اللغة العربية.	1	1.5
السادس	الأبنية والأوزان.	1	1.5
السابع	الترادف في العربية. (مفهومه ،أسبابه ،اختلاف الدارسين حول وجوده).	1	1.5
الثامن	المشترك اللفظي.	1	1.5
التاسع	التضاد في العربية.	1	1.5
العاشر	الاشتقاق في العربية. (مفهومه،أنواعه ،العام، الكبير، الأكبر، الكبار "النحت").	1	1.5
الحادي عشر	الدخيل في العربية.	1	1.5
الثاني عشر	المعرّب في العربية.	1	1.5
الثالث عشر	المولّد في العربية.	1	1.5
الرابع عشر	الإعراب وبناء الكلمة في العربية.	1	1.5
	عدد الأسابيع ومجموع ساعات الاتصال في الفصل الدراسي	14	21

المحاضرة الأولى: مـدخـل إلى فقـه اللغـة العربية

1/نشأة فقه اللغة:(philology):

لم يكن العرب في جاهليتهم في حاجة إلى تعلم لغتهم الجاريه على ألسنتهم جريان الفطرة والسليقة في المدارس أو ما شابه ذلك .كما لم تدفعهم الحاجة إلى جمعها ودراستها مخافة ضياعها وفسادها بانتشار متكلميها في أنحاء الجزيرة العربية وتعاقب الأجيال.

وهكذا ظل الأطفال العرب مدة قرون عديدة يأخذون اللغة دون الحاجة إلى كتاب مرشد أو معلم مقوم لا اعوجاج محتمل في النطق أو التعبير،ولما جاءت الدعوة الجديدة بالقرآن الكريم وإعجازه العظيم دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشرت رقعة الإسلام وكذالك اللغة العربية أيضا انتشارا لمثيل له من قبل ،فاختلطت الأمم والألسنة فظهر اللحن ونفشت العجمة بين من اعتنقوا الإسلام دينا من غير العرب،وبالتالي لم يسلم كتاب الله من اختلاف في القراءة ،والفهم والتأويل باختلاف المسلمين وتفاوتهم في الإلمام باللغة الحاملة له إلى يوم الدين.من هنا أدرك العلماء خطورة الموقف وهبوا جميعا إلى تصحيح الوضع ومساعدة الناس في فهم دينهم على أكمل وجه وأصحه[1].

من هنا كان القرآن الكريم بمثابة الحافز القوي والدافع المحرك للحياة العلمية في القرون الهجرية الأولى،وكان لابد من قيام علوم أخرى متنوعة يهتم بعضها بتفقيه الناس في أمور دينهم "كالفقه والحديث" ،ويهتم البعض الآخر بضبط اللغة وتقنين قواعدها لتيسير فهم النصوص القرآنية "كالنحو والبلاغة"والوقوف على محتواها الظاهر والباطن.ومن أجل هذا الغرض كان لابد على المفسرين الاستعانة بالآثار الأدبية الموروثة عن الأسلاف ،فسنحت الفرصة لجمع شتات اللغة العربية في قواميس والنصوص الأدبية في معاجم ومختارات على شاكلة الأصمعيات ،والمفضليات والنوادر،....

من خلال ما تقدم يمكن القول أن لفظة فقه اللغة كمصطلح ظهر في القرن الرابع هجري عند أحمد بن فارس(ت395هـ)،إذ أطلق على أحد كتبه اسم "الصاحبي في فقه اللغة".وبذلك ظهر هذا المصطلح أول مرة في التراث العربي عنوانا لكتاب،ولم ينتشر هذا المصطلح إذ لم نقف عليه بعد "ابن فارس"إلا عند أبي منصور الثعالبي(ت429هـ)حيث سمى أحد كتبه "فقه اللغة وسر العربية"[2].

البداية الحقيقية لفقه اللغة، وظهوره كعلم مستقل كانت على يد عالمين من علماء اللغة الكبار في القرن

---

[1] ينظر:محاضرات في فقه اللغة:د/زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1994،ص:10 .

[2] فقه اللغة :حاتم صالح الضامن،مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر،الموصل ،بغداد،1990 ،ص11

الرابع؛ حيث كان لهما أكبر الأثر في التأليف في (فقه اللغة) وتعد مؤلفاتهما البداية الحقيقة لإفراد هذا العلم بكتب خاصة.

الأول: أبو الحسين أحمد بن فارس ت395هـ: الذي ألف مجموعة من الكتب اللغوية وغيرها، ومنها كتاب: (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها).

وترجع أهميةُ هذا الكتاب إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة). وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً. وقد عالج ابن فارس في كتابه (الصاحبي) عدداً من الموضوعات التي تعد من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه. قال في مقدمة كتابه: "والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين _ رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء _. وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق"[1]. ثم بعد ذلك شرع في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها. وكحديثه عن اختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف. وكحديثه عن الخطاب المطلق والمقيد، وعن الحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والحذف والاختصار، والاتباع، والنحت، والإشباع، وغيرها. وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على 207 من الأبواب. كل ذلك مع أن الكتاب في مجلد واحد، ويقع بعد التحقيق في 238 صفحة. وقد طبع عدة طبعات، ولعل من آخرها طبعة دار الكتاب العلمية 1418هـ _1998م. وقد علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج. كما أن ابن فارس أثرى المكتبة العربية بمعجم سماه (مقاييس اللغة). وهو من أضخم المعاجم العربية. وله معجم آخر اسمه (مجمل اللغة). وهذه الكتب تدل على عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة. وسيأتي مزيد حديث عن ابن فارس وعن معجميه عند الحديث عن المعاجم العربية.

الآخر: أبو الفتح عثمان بن جني: كان أبوه جنيٌّ مملوكاً رومياً لسليمان ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي. وجِنِّي بكسر الجيم وتشديد النون مكسورة، وسكون الياء _ معرَّب كِنِّي. ولد في الموصل سنة 300هـ، وقيل 322هـ وتوفي في بغداد عام 392هـ. كان ابن جني رجل جدٍّ، وامرأً صدقٍ في فعله وقوله؛ فلم يعرف عنه اللهو، والشرب، والمجون. وكان عف اللسان والقلم يتجنب البذي من الألفاظ، ولم يكن همه رضاء الملوك ومنادمتهم كحال أدباء عصره. أخذ النحو عن الأخفش، وبعده عن أبي علي الفارسي، وأخذ عن كثير من رواة اللغة والأدب. اجتمع ابن جني بالمتنبي في حلب عند سيف الدولة، وفي

1_ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- ابن فارس أبو الحسين أحمد – مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة – 1977. ص12

شيراز عند عضد الدولة البويهي. وكان المتنبي يجله، ويقول فيه: "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس"[1]. وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: "سلوا صاحبنا أبا الفتح. وكان يقول: "ابن جني أعرف بشعري مني"[2]. وكان ابن جني يعجب بشعر المتنبي، ويستشهد بشعره في المعاني، وهو أول من شرح ديوانه، وله في ذلك شرحان: كبير وصغير. أما مذهبه الكلامي فقد كان معتزلياً كما ذكر ذلك السيوطي في المزهر. ويذكر بعض مترجميه أن لا يتقيد بأصول المعتزلة، ويذهب إلى ما يراه الحق. يعد ابن جني من كبار علماء العربية وأفذاذها.وكان محل الثناء من قبل كثير من العلماء، قال عنه الثعالبي: "هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب"[3]. وقال عنه الفيروز أبادي: "الإمام الأوحد، البارع المتقدم"[4].وله كتب كثيرة في فنون مختلفة لم تعرف العربية لها نظيراً. وله فيما يعد من صميم فقه اللغة كتابان جليلان.

أولهما: كتاب (الخصائص): حيث عالج فيه كثيراً من قضايا فقه اللغة، وقدم نظريات وآراء تجاري أو تفوق أحدث ما قال به العلماء في العصر الحديث. وقد تحدث في كتابه المذكور عن موضوعات كثيرة تعد من صميم فقه اللغة. ومنها حديثه عن أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتداخل اللغات، والاشتقاق الأكبر، والإدغام، والعلاقة بين الألفاظ والمعاني، والتقديم والتأخير، واستخلاص معاني الأوصاف من المعاني، والإبدال. وقد طبع عدة طبعات، وطبع أخيراً بتحقيق د/عبدالحميد هنداوي،ونشرته دار الكتب العلمية1421هـ ،2001موهذه الطبعة تميز بحسن إخراجها، ودقة فهارسها،حيث يستطيع الباحث أن من خلالها الوصول إلى آراء ابن جني عبر الفهارس بدون كلفة.

أما كتابه الثاني فهو: (سر صناعة الإعراب): وقد خصه ابن جني لدراسة الأصوات؛ فكان أول عالم في العربية يفرد هذا البحث بكتاب مستقل؛ حيث كان قبله يُدْرَسُ ضمن بحوث النحو كما في كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد. وقد قدم ابن جني في كتابه مباحث قيمة في علم الأصوات مستفيداً من سابقيه، ومضيفاً إليه الكثير؛ فهو في مقدمته يتحدث عن الفرق بين الصوت والحرف، وهو يُشَبِّه الحلق والفم بالناي، ويذكر أن الحركات أبعاض حروف المد. ثم يتحدث عن الحروف، ومخارجها، وأجناسها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة، والمستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مستقصىً مشروحاً.وبعد ذلك يعقد لكل حرف من حروف العربية مرتبة على الحروف الألفبائية باباً يتكلم فيه على صفاته، ومخرجه، وما يعرض له من قلب،

1_ معجم الأدباء :ياقوت الحموي 89/2و102.

2_ شذرات الذهب :ابن العماد 141/3.

3_ يتيمة الدهر :الثعالبي 124/1.

4_ البلغة في تاريخ أئمة اللغة :الفيروزأبادي ص137.

أو إبدال، أو إدغام، كما يتعرض لكثير من القضايا النحوية. كما تحدث عن تصريف حروف المعجم، واشتقاقها، وجمعها، كما تحدث عن مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك وما يمتنع، وما يحسن وما يقبح إلى غير ذلك مما حفل به ذلك الكتاب.والناظر في هذا الكتاب يلحظ فيه مزايا عديدة منها على سبيل الإجمال: غزارة المادة، والوضوح، والسهولة، والشمول، والاستقصاء.وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً في مجلدين طبعة طيبة معتنى بها كثيراً، حيث درسها وحققها د. حسن هنداوي، وقد قدم للكتاب بمقدمة رائعة بين فيها شيئاً من سيرة ابن جني، وأردفها بحديث ماتع عن الكتاب، وعن سبب تسميته، وعن بعض مزاياه.

وقد ظهر مصطلح " فقه اللغة "في العالم العربي الحديث،في الجامعة المصرية خاصة لما استقدمت جماعة من المستشرقين للمساعدة في التدريس[1] ،كما ذكر"السنيور جويدي Guidi "في محاضرته الأولى بالجامعة المصرية في أكتوبر1926م ،أن كلمة "philology "تصعب ترجمتها بالعربية ،وأن لها في اللغات الغربية معنى خاصا لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب ؛فمنهم من يرى هذا العلم مجرد درس لقواعد الصرف والنحو،ونقد النصوص آثار الأدبية .ومنهم من يرى أنه ليس درس اللغة فقط، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها ،وإن صح ذلك يدخل فمن الممكن أن يدخل في دائرة الفيولوجي ،علم اللغة وفنونها المختلفة،كتاريخ اللغة،ومقابلة اللغات ،والنحو،والصرف،والعروض،وعلوم البلاغة،وعلم الأدب في معناه الأوسع؛ فيدخل تاريخ الأدب ، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية، وتاريخ الفقه من حيث تدوينه في المجاميع والمجلات ، وتاريخ الأديان من حيث درس الكتب المقدسة....،ولا سبيل لمعرفة كنه هذه الحياة العقلية ،إلا بدرس أحوال المركز،التي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية"[2].

وقد تخصص "فقه اللغة"في الجامعات العربية بدراسة فقه اللغة العربية،وإن اختلفت مناهجه فيها،بين الدراسة التقليدية القديمة،ومحاولات لتطبيق المناهج في الدرس اللغوي.

2/فقه اللغة ضمن المصطلحات اللغوية:

فقه اللغة وعلم اللغة : مصطلحان متداخلان متكاملان يصعب علينا التمييز بينهما ؛ وقد وجدنا أننا إذا لم نتعرّف على طبيعة كلّ منهما فإن الخلط بينهما يسمح بإطلاق كلّ من التسميتين على الأخرى ؛ حيثُ معظم مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً [3]، وهذا ما يضعنا

[1] ينظر:مقدمة لدراسة فقه اللغة:مُحَمَّد أحمد أبو الفرج،ص12.

[2] النثر الفني في القرن الرابع:د/زكي مبارك،37/2.

[3] دراسات في فقه اللغة:صبحي الصالح،ص19

أمام تساؤلات لا بدّ من الإجابة عليها ، ومنها :

ماذا يعني الفقه ؟ وما تعريف اللغة ؟ ، وماذا نعني بمصطلح فقه اللغة ؟ وما تعريف علم اللغة ، وما الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة ؟ .

2-1/تعريف كلمة (فقه):

الفقه هو العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة فيه. يقال: فَقُه الرجل فقاهة إذا صار فقيهاً، وفَقِه: أي فهم فقهاً[1]. وبعض العلماء يرى أن الفقه أخص من العلم، وفي هذا الصدد يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله: « الفقه هو التوصل إلى علمٍ غائبٍ بعلم شاهد؛ فهو أخص من العلم»[2].

وقد وردت مادة (فقه) في القرآن الكريم عشرين(20) مرة تحمل المعاني السابقة، فمن ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾النساء:78،وقوله عز وجل أيضا:﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾التوبة:122،وقوله تعالى أيضا:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء:44

وقد غلب استعمال (الفقه) على علوم الدين؛ لشرفها، وذلك من باب تخصيص الدلالة، ولكنه يستعمل في غير علوم الدين بقرينة.

2-2/ تعريف كلمة (اللغة):

اللغة مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها الكلام؛ فهذا تعريفها في اللغة[3]. **أما في الاصطلاح** فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جني في كتابه (الخصائص) حيث قال: «**أما حدها فإنها أصوات يعبّر بها كل قومٍ عن أغراضهم**» [4].

وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم _ يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة؛ حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة:

أ_ أصوات منطوقة. ب _ وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض

ج_وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها. د _ وأن لكل قوم لغة.

فهذه _ تقريباً _ هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسع، فتدخل في اللغة كل وسيلةٍ تفاهمٍ، ولا تقتصر على الأصوات، فتجعل فيها

1_ انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص40.

2_ المفردات في غريب القرآن ص40.

3_ انظر لسان العرب 251/15.

4_ الخصائص 87/1

الإشارات، وتعبيرات الوجه، ودقات الطبول وغيرها؛ فإن الأشهرَ هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة؛ لأن غيرها من الوسائل محدودة، وقليلة القيمة.

وعرفها ابن الحاجب بأنها: «كل لفظ وضع لمعنى»[1].ويراها بعض المحدثين: «أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين» [2].ويراها آخر بأنها: «معنى موضوع في صوت» [3].

3/مفهوم مصطلح فقه اللغة باعتبار تركيبه: يُعرف تعريفاً لغوياً، وتعريفاً اصطلاحياً.

أما في اللغة[4] فهو: فهم اللغة، والعلم بها، وإدراك كنهها. وأما في الاصطلاح فيطلق فقه اللغة في الاصطلاح على العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك مما يجري ويدور في فلكه مما سيأتي ذلك عند الحديث عن موضوعات فقه اللغة.ويمكن أن يعرف تعريفاً موجزاً، فيقال: هو العلم الذي يعنى بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها.

4/مفهوم مصطلح علم اللغة:

هناك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلفات الحديثة مقابلاً لمصطلح (فقه اللغة) ألا وهو (علم اللغة). فقد نجد بعض المؤلفين المحدَثين يفرق بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئاً واحداً؛ باعتبار أن العلم والفقه شيء واحد. والحقيقة أن هذا الخلاف طارئ على العربية؛ إذ الكلمتان من الناحية اللغوية معناهما واحد، وقد وردا في تراثنا العربي كذلك؛ فلابن فارس كتاب: (الصاحبي في فقه اللغة) وللسيوطي كتاب: (المزهر في علوم اللغة)؛إذ لم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة: من خدمة العربية،وبيان خصائصها،والوقوف على سنن العرب في كلامهم،والحديث عن القضايا اللغوية العامة.

فإذا اسْتُخْدِمَ مصطلح (فقه اللغة) باعتباره شاملاً لدراسة اللغة بعامة فهو الأنسب؛ لأنه مستخدم في عربيتنا، وارد في تراثنا. وإذا استُخدم اصطلاح (علم اللغة) فإنما يعنى به المرادف لفقه اللغة؛ بناءاً على المعنى اللغوي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

1_ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لأبي الثناء الأصفهاني 150/1.

2_ علم اللغة د. حاتم الضامن ص32.

3_ علم الدلالة لأحمد مختار ص5 وانظر الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية د. هادي الشجيري ص56_77.

4_ انظر تفاصيل ذلك في مقدمة فقه اللغة د. مُحَمَّد أحمد أبو الفرج ص12_24، وفقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب ص28_36.

5/الخلط بين المصطلحين:

لقد حصل خلط بين المصطلحين السابقين بسبب ترجمة بعض المصطلحات الغربية ومحاولة تطبيقها على لغتنا. فالغربيون يفرقون بين علمين يتناولان اللغة، **أحدهما:** يُعنى بدراسة النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي. **والثاني:** يُعنى بدراسة اللغة في ذاتها: وصفاً وتاريخاً، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعيناً بوسائل علمية، وآلات حديثة. ومن هنا حاول بعض الباحثين تطبيق هذا على العربية، والتفريقَ بين عِلْمين يهتمان بالعربية ؛ متناسين أموراً منها ما يلي:

أ_ الاختلاف الكبير بين العربية وغيرها.

ب _ أن أقدم نصوص العربية وصل إلينا من العصر الجاهلي.

ج _ أن العربية نزل بها القرآن الكريم.

د _ وأنها إلى يومنا هذا لغة واحدة حافظت على خصائصها، وبقيت لها هيبتها التي حفظها لها الكتاب العزيز.

هـ _ وأن دراسة العربية في العصور السابقة لا تختلف عن دراستها في عصرنا هذا إلا ما طرأ من عاميات، ولهجات. بخلاف غيرها من اللغات الأخرى؛ إذ الإنجليزية المعاصرة لا تمت إلى الإنجليزية منذ قرون إلا بصلات واهية. بل إن لغة شكسبير _ وهو من كبار أدباء الإنجليز وقد مات في القرن السابع عشر _ لا يكاد يفهمها إلا نفر من المثقفين. وقل مثل ذلك في الفرنسية، والإيطالية، وسائر اللغات الأوربية الحديثة.

أما نحن العرب _ على اختلاف أقدارنا من الثقافة _ فنقرأ القرآن، ونفهمه إلا قليلاً مما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، وكذلك الحال بالنسبة للحديث الشريف.وكذلك نقرأ أدب الجاهلية وأدب صدر الإسلام وما بعده، فنفهمه –في الجملة–على اختلاف الثقافة فيما بيننا.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن مصطلح(فقه اللغة) أكثر ملائمة، وأعم وأشمل في دراسة القضايا التي يتناولها ذلك العلم. ومع ذلك فلا تثريب على من استعمل المصطلح الآخر (علم اللغة).

6/الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة :

المتتبع لنظرة الباحثين قديما وحديثا إلى هاتين التسميتين "فقه اللغة" و"علم اللغة" يجد تداخل وخلط بينهما.فعلماؤنا العرب لم يفرقوا في الاستعمال بين هذين المصطلحين في الدراسات اللغوية : فهذا ابن فارس سمى كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " ،وهذا الثعالبي الذي أطلق على كتابه أيضا " فقه اللغة وسر العربية "

ويتفق كلا الكتابان في في معالجتهما لقضايا العربية.فموضوع "فقه اللغة" عندهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات .ويضم كتاب ابن فارس إلى جانب هذا مجموعة من القضايا النظرية حول اللغة وأبرزها "نشأة اللغة".ويتضمن كتاب الثعالبي قسما ثانيا هو"سر اللغة" إذ تناول فيه عددا من الموضوعات الخاصة ببناء الجملة.

والمتصفح للموروث اللغوي يلاحظ أن هناك كتابا أقرب إلى هذه الكتب القديمة إلى"فقه اللغة" لا يحمل أي مصطلح من"فقه اللغة" أو"علم اللغة"وهو كتاب"الخصائص"ل"أبي الفتح عثمان ابن جني".

أما فيما يخص المحدثين فانقسموا قسمين:فمنهم من تبع القدماء في عدم التفرقة بين المصطلحي،ومن هؤلاء:مُحَمَّد المبارك،وعلي عبد الواحد،وصبحي الصالح.[1]والقسم الثاني فرق بين المصطلحين ومن هؤلاء:كمال بشر،ومُحَمَّد أحمد أبو الفرج،وعبده الراجحي،وعبد الصبور شاهين[2]

ومما قدمنا يمكن أن نستخلص **الفروق الآتية:**

– منهج"فقه اللغة" يختلف عن منهج "علم اللغة"؛إذ يدرس الأول وسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب من خلال اللغة،بينما يدرس الثاني اللغة لذاتها ،قال"ألن":"إن التفريق بين الاصطلاحين"فقه اللغة"و"علم اللغة "واجب،للتفريق بين دراسة اللغة باعتبارها وسيلة ،وبين دراستها باعتبارها غاية في ذاتها"[3]،ويؤكد"دي سوسير"أن موضوع اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" [4].

– إن اصطلاح فقه اللغة سابق من الناحية الزمنية لعلم اللغة.

– إن ميدان "فقه اللغة" أوسع وأشمل ،لأن الغاية النهائية منه دراسة الحضارة والأدب والبحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها،لذلك اهتم فقهاء اللغة بتقسيم اللغات وبمقابلة بعضها ببعض،وميدان "علم اللغة" هو التركيز على التحليل لتركيب اللغة ووصفها.

– إن "علم اللغة" اتصف منذ نشأته بكونه علما ،حسب المفهوم الدقيق لهذا المصطلح،ولم يصف علماء "فقه اللغة" بكونه علما.

– إن عمل فقهاء اللغة تاريخي مقارن في أغلبه أما عمل علماء اللغة فوصفي تقريري [5].

---

[1] ينظر:فقه اللغة وخصائص العربية:مُحَمَّد المبارك،ص39 ،علم اللغة:علي عبد الواحد،ص15–16 ،دراسات في فقه اللغة:صبحي الصالح،ص19–20 .

[2] ينظر كل من:دراسات في علم اللغة:كمال بشر،48/2–49 ،مقدمة لدراسة فقه اللغة: ومُحَمَّد أحمد أبو الفرج،ص9–24 .،فقه اللغة في الكتب العربية: عبده الراجحي ،ص 29 ، في علم اللغة العام: عبد الصبور شاهين،ص 5–9 .

[3] فقه اللغة وخصائصها:33 .

[4] فقه اللغة في الكتب العربية:16 .

[5] ينظر:فقه اللغة العربية وخصائصها،ص33–34 .

وفي آخر هذه الفروق ما بقي لنا إلا أن نشير إلى أن علم اللغة الحديث يدرس بنية اللغة من الجوانب الآتية: الأصوات /بناء الكلمة(الصرف) / بناء الجملة (النحو) / المفردات ودلالاتها(علم المعنى).

7/أهداف فقه اللغة:

لدراسة فقه اللغة هدف وثمرة مرجوة وغاية يراد الوصول إليها من خلال هذا العلم، ومن بين هذه الأهداف ما يلي:

1-فقه اللغة باب عظيم من أبواب العلم، يجمل بالفاضل أن يقف عليه، ولو لم يتعمق فيه.

2-الوقوف على شيء من بديع صنع الله ـ عز وجل ـ: فدراسة الأصوات اللغوية ـ على سبيل المثال ـ تطلعنا على الجهاز الصوتي الذي يعد آية من آيات الإبداع الإلهي.

3-التمكن من النطق السليم: فمعرفة مخارج الأصوات، وصفاتها وما يترتب على ذلك من مباحث مهمة ـ تعين على النطق السليم للغة.

4-الاعتزاز باللغة العربية: فدراسة اللغة دراسة علمية تجعلنا ندرك ميزاتها، وتمكننا من معرفة أسرارها.

وذلك يدعو إلى الاعتزاز بالعربية اعتزازاً مبنياً على واقع مدروس.

5-مواجهة ما يحاك ضد العربية: كاتهامها بالصعوبة، والجمود، وكالمناداة بترك الإعراب، والتوجه إلى العامية، وكتابة الحروف بحروف جديدة إلى غير ذلك من الدعاوى التي تحاك ضد العربية، والتي يراد منها هدم الدين، أو التشكيك فيه، أو إضعاف أثره في نفوس أهله.

ولا ريب أن مواجهة مثل هذه الدعاوى وأمثالها نوع من الجهاد الذي يُكْسِبُ صاحبَه شكوراً، وتزداد به صحيفةُ أعماله نوراً.

6-تعظيم السلف الصالح: فالوقوف على ما بذلوه من جهود جبارة في سبيل خدمة لغة القرآن يبعث في نفس المطَّلع على ذلك إجلالُ أولئك السَّراة وتعظيمهم، والحرص على أن يبني كما بنوا.

7-سد الحاجة، ومواكبة التطور: فالعلم باللغة، والوقوف على دلالتها يسد حاجة عظيمة، سواء في تعريب الألفاظ، أو الاستغناء عن المصطلحات الدخيلة، أو في بيان المقصود مما يفد إلى أمتنا من ألفاظ، أو أخلاق، أو مصطلحات، كمصطلح العلمانية مثلاً، أو مصطلح الإرهاب أو غير ذلك؛ فإذا نقلناه كما هو معروف عند الغرب أحدث عندنا خلطاً وبلبلة.

أما إذا أعطي معناه الصحيح المحدد أراحنا من كثير من البلايا.

8-خدمة العلوم الأخرى: ففقه اللغة له علاقة بكثير من العلوم ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ فالوقوف عليه،

ومعرفته يخدم كثيراً من التخصصات والعلوم الأخرى.

8/موضوعات فقه اللغة:

فقه اللغة هو ذلك العلم الذي يُدْرَس، ويتناول موضوعات مُعيَّنة سبق الحديث عن بعضها. وفيما يلي ذكر لموضوعات فقه اللغة بشيء من الإيضاح المجمل.

1-القول في أصل اللغة، والخلاف في ذلك. 2-خصائص اللغة العربية، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.

3-معرفة سنن العرب في كلامهم، وأساليبهم. 4-علم الأصوات اللغوية.

5-لهجات العرب، واختلافها.6 -بنية الكلمة العربية وهو ما يسمى بالصرف.

7-الجملة، أو التركيب وهو ما يسمى بالنحو. 8-دلالة الألفاظ،أو معانيها.

9-تطور دلالة الألفاظ، وانحطاطها. 10-الاشتقاق بأنواعه.

11-المشترك والمترادف والمتضاد، والنحت. 12-التعريب وضوابطه.

13_ المعاجم العربية، ومدارسها، ومناهج أصحابها.14-مسألة تنقية اللغة.

15-ما تواجهه العربية من عقبات ومشكلات، وما يحاك ضدها من مؤامرات.

16-مواكبة العربية للجديد، واستيعابها للمصطلحات الجديدة كالمصطلحات الطبية، والصناعية وغيرها.

17-جهود العلماء في هذا الباب في القديم والحديث.

18-قضايا الدعوة إلى العامية، وترك الإعراب، وإصلاح الخط العربي، وما إلى ذلك.

19-العناية بالدراسات التي تقوم بها المجامع اللغوية، وما يتمخض عنها من نتائج وقرارات.

المحاضرة الثانية:

نظريات نشآة اللغة الإنسانية
الوحي والإلهام،التواضع والاصطلاح،المحاكاة

1/تمهيد:

ليست نشأة اللغة الإنسانية قضية جديدة في الدر اللغوي وإنما هي مشكلة قديمة شغلت المفكرين على مرّ العصور، وتصدى للبحث عنها كثير من العلماء والفلاسفة والمتكلمين واللغويين. فكان الفلاسفة وعلماء اللغة مشتغلين بفكرة البحث عن أصل اللغة، كيف نشأت؟، ومن أين جاء الإنسان بهذه القدرة على الكلام؟ ،وهل أن اللغات المتعددة للشعوب كانت في الأصل لغة واحدة تعددت لهجاتها فصارت لغات متقاربة أو متباينة؟، أو أن الأصل لم تكن لغة واحدة بل كانت لغات نشأت مستقلة بعضها عن بعض بين أقوام مختلفة من الأرض؟ ،ومتى عرفت الإنسانية اللغة والتعبير بالكلام ؟ .

أسئلة كثيرة تحتاج لأجوبة ،والمصادر التي بين أيدينا عاجزة عن كشف السرّ وما يدور من نقاش في حلقات الدراسة لا تخرج عن دائرة التخمين والافتراض.

ولقد بذلت جهود كثيرة وأجريت تجارب متعددة لكشف هذه القضية، فلم يجمعوا على قول واحد بل ذهبوا فى البحث مذاهب شتى وتوصلوا إلى عدة نظريات أهمها:

1. نظرية التوقيف والإلهام
2. نظرية التواضع والاصطلاح
3. نظرية التقليد والمحاكاة
4. نظرية الغريزة الكلامية.

في منتصف القرن الرابع هجري ظهر الاهتمام بمسألة نشأة اللغة العربية وتجسد في اختلاف جوهري بين فريقين ، فريق سني مثله "ابن فارس" وسلّم بتوقيف اللغة ،وفريق معتزلي مثله "أبو علي الفارسي" وتلميذه "ابن جني" اللذان ذهبا إلى أن اللغة من صنع الإنسان واصطلاح المتكلمين.

2/ نظرية التوقيف ،أو الوحي والإلهام :(الفريق السنّي).

ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة الإنسانية إلهام و وحى من الله عز و جل لا يَدَ للإنسان في وضعها فهو أعجز من ذلك فهي إذا توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها.

ويعد أحمد بن فارس أشهر العلماء العرب القائلين بهذه النظرية(وممثل الفريق السني)،فقد خصص بابا في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"،سماه "القول على لغة العرب ،أتوقيف أم اصطلاح؟"[1]،و لعل القول بأزلية القرآن الكريم – وأنه غير مخلوق – هو الذي استدرج السنيون إلى اعتبار اللغة

[1] الصاحبي/31.

توقيفا وإلهاما من الله. «ودليل هؤلاء دليل نقلي لا عقلي ذلك أنه يعتمدون على قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1]»[2]، ثم يحاول "ابن فارس"زعيم الفريق السني تفسير المقصود بالأسماء مستعينا بتفسير "ابن عباس"(ت687) الذي أوضح فيه القصد من تعليم الأسماء،وهي تلك الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وجمل وحمار،وغيرها من الأسماء الضرورية لحياة آدم عليه السلام وذريته من بعده.[3]والأسماء هي أقوى القبل الثلاثة وأكثرها ذكرا من الفعل والحرف الذين قد يستغنى عنهما المتكلم في كثير من تعابيره المفيدة.

ولمن احتج ببقية الآية﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ فكان من الأحرى أن يقال "عرضها أو عرضهن" على سبيل الكناية،فنلاحظ ابن فارس تعرض إلى تعليل مجيء الضمير"هم" بتغليب العاقل حين يجتمع ما يعقل وما لا يعقل في صيغة لغوية واحدة،لأن التغليب سنة من سنن العرب في كلاهما ، وفي نفس هذا السياق يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[4] ،فقال "منهم" تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بني آدم.

وفي هذا السياق يندرج قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5] ،فاختلاف اللغات دليل على أنه أمر توقيفي من الله وليس للإنسان دخل في صنعها على الإطلاق .ثم انظر إلى قوله أيضا :﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾[6]،ترى أن هناك ذما صريحا واعترافا ضمنيا بكون البواقي توقيفية.

ومن الأدلة التي قدمها ابن فارس على توقيفية اللغة إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه.وعدم تسمية العرب شيء من الأشياء عن طريق الاصطلاح ، ويضيف ما خلاصته أن الصحابة رضوان الله عليهم رغم بلاغتهم وفصاحتهم لم يؤثر عنهم أنهم اصطلحوا على تسمية شيء من الأشياء.

---

[1] البقرة:31.

[2] فقه اللغة وخصائصها:إميل بديع يعقوب،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط1،1982 ،ص12.

[3] فقه اللغة:عبده الراجحي،ص78.

[4] النور:45.

[5] الروم:22.

[6] النجم:23.

هذه مجمل الحجج التي قدمها ابن فارس والسنيون للبرهنة على كون اللغة توقيف والهان من الله تبارك وتعالى. وخلاصة القول أن أصحاب التوقيف آمنوا إيمانا قويا بأن الله وحده هو خالق كل لغة ،مستدلين بالنصوص القرآنية ،حيث فسروها تفسيرا يناسب أهواءهم ويؤيد رأيهم.

ويرجع بعض الباحثين هذه النظرية إلى الفيلسوف اليوناني "هيراكليت Heraclite "(576-480 ق.م)، ومن القائلين بها في العصور الحديثة الأب"لامي Lami "(1636-1711 م) ، والفيلسوف "دوبونالد De Bonalde "(1754-1840م).

3/نظرية التواضع والاصطلاح (فريق المعتزلة):

وتتلخص هذه النظرية فى أن اللغة مواضعة واتفاق بين الناس بحيث يصطلحون على كذا وكذا من الألفاظ و ارتجلت ألفاظها ارتجالا.وفكرة المواضعة والاصطلاح معروفة منذ القديم،فمن أصحابها الفيلسوف اليوناني "ديموكريت Démocrits "الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد،ومن القائلين بها في العصور الحديثة الفلاسفة الانجليز" آدم سميث AdamSmith "،و"ريد Reid "و"دوغالد ستيوراث Dugale Stewart ".

ففريق المعتزلة هم القائلون بالاصطلاح ،لم يظهر فيهم زعيما جهارا وإنما نسبت الزعامة إلى "ابن حني "وأستاذه "أبو علي الفارسي(987هـ)"اللذين اعتمدا في معالجة نشأة اللغة على التحكيم المنطق العقلي،وذلك حتى في تفسير الآيات الشاهدة على صحة رأيهما.

لقد رأينا "ابن جني" يذكر أن «أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف»[1] ويبدو أنه في الباب الذي عقده في خصائصه " تحت عنوان "باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح"مترددا بين القول بالتوقيف ،والقول بالمواضعة و الاصطلاح، والقول بأن«أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح،وحنين الرعد،وخرير الماء...»[2].فقد كاد الدكتور"عبده الراجحي" يجزم بأنه «يرفض القول بأن اللغة وحي ،وذلك أن "ابن جني" معتزلي المذهب ،والمعتزلة الذين ذهبوا إلى خلق القرآن ما كانوا يذهبوا إلى أن اللغة وحي وإلهام ،وذلك لأنه لا يتسع مع قدرة الإنسان حتى وإن كانت بالكسب .على أن هناك سببا آخر يكاد يقطع بأن أبا الفتح كان يذهب إلى أن الإنسان هو الذي وضع اللغة أو واضع عليها ،وذلك أن منهجه في كتابه كله وفي كتبه الأحرى ينبني على تناول اللغة باعتبارها مادة طبيعية

[1] الخصائص:40/1 .

[2] الخصائص:46/1.

محسوسة ،مقياسها الوحيد هو الطبيعة والحس ،ومن ثم فرق بينهما وبين الفقه الذي تعود أحكامه إلى حكمة إلهية لا تصل إليها الحاسة البشرية »[1].

ولقد صور ابن جني رأي أصحاب هذا الاتجاه ،وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة،«كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا،فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعون لكل واحد منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به ما مسماه ،ليمتاز من غيره وليُغنَى بذكره عن إحضاره إلى مَرآةِ العين ،فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره ،لبلوغ الغرض في إبانة حاله.بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه ،كالفاني وحال اجتماع الضدّين على المحل الواحد،كيف يكون ذلك لو جاز وغير ذلك مما هو جارٍ في الاستحالة والبعد مجراه،فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم ،فأومئوا إليه ،وقالوا:إنسان إنسان ،فأيَّ وقت سمع هذا اللفظ عُلم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق ،وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا: يد،عين،رأس ،قدم،أو نحو ذلك.فمتى سَمِعتَ اللفظة من هذا عُرِفَ معنيها ،وهلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء ،والأفعال ،والحروف. »[2].

المتأمل لهذا النص على طوله يلاحظ حجتين على اصطلاحية اللغة،أولاهما أن اللغة ظاهرة من ظواهر العقد الاجتماعي وتأتي مواضعتها عن طريق اتفاق الحكماء فيما بينهم ،الذين يتولون إطلاق الأسماء على الأشياء ،وثانيهما أن الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها عرفية ،بمعنى اعتباطية وغير معللة بتعليل طبيعي أو ما يشبه ذلك.

ولقد احتج القائلون بالاصطلاح بأمور أخرى كتقدم اللغة على البعثة من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾[3]،والمتأمل لهذه الآية يراه دليل قاطع على حكمة الله تعالى في مخاطبة وسطائه من الأنبياء والرسل بألسنتهم المعروفة واختيارها وسائل لنقل رسالتهم السماوية إلى الآدميين.[4]

[1] فقه اللغة في الكتب العربية:87-88 .

[2] الخصائص:44/1.

[3] إبراهيم:4 .

[4] ينظر:المزهر :18/1-20 .

4/ نظرية التقليد والمحاكاة:

وهي النظرية التي يسميها اللغويون:"Bow-Wow"،وخلاصتها أن نشأة اللغة بدأت محاكاةً للأصوات الطبيعية، وتقليدا للأصوات المسموعة من الحيوانات والأشجار، وصوت الرعد وغيره، ثم تطورت الألفاظ الدالة على المحاكاة ، وارتقت بفعل ارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة .

وأول من دافع عن هذا المذهب من علماء الغرب بالتفصيل العالم"هردر"في كتابه "بحوث في نشأة اللغة".كما تعرض لهذا الرأي أيضا "ابن جني" بقوله: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح،وحنين الرعد،وخرير الماء،وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس،ونزيب الضبي ونحو ذلك .ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل»[1].والمتأمل لهذه المقولة يرى أن "ابن جني" الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها ،أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء.،ثم إن"ابن جني"ارتضى هذا الرأي وسلم به فقال معقبا عليه: «و هذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل».

ومما يميز هذه النظرية أنها تشرح لنا مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ بالبيئة التي يعيش فيها،إلا أنه يؤخذ عليه حصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة ،متجاهلا في ذلك الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس ،تلك الحاجة التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة[2].

ويقصد من هذه المحاكاة التعبير عن الشيء الذي يصدر عنه الصوت المحاكى أو عما يلازمه أو يصاحبه من حالات وشؤون.واستعمل في هذه المحاكاة ما زود به من قدرة على لفظ الأصوات مركبة ذات مقاطع.وكانت لغته في مبدأ الأمر محدودة الألفاظ ،قليلة التنوع،قريبة الشبه بالأصوات الطبيعية التي أخذت عنها،قاصرة عن الدلالة على المقصود،ولذا كان لابد لها من مساعد يصحبها فيوضح مدلولاتها ويعين على إدراك ما ترمي إليه.

وقد وجد الإنسان خير مساعد لها في الإشارات اليدوية ،والحركات الجسمية ،وهذا المساعد الإرادي قد نشأ هو نفسه عن الحركات الفطرية التي تصحب الانفعالات .فكان في بادئ أمره مجرد محاكاة إرادية لهذه

---

[1] الخصائص:1/ 46-46.

[2] ينظر:علم اللغة:د/حاتم صالح الضامن،ص97 .

الحركات ،ثم توسع الإنسان في استخدامه فحاكى به أشكال الأشياء وأحجامها وصفاتها ...وهلم جرا.ثم أخذت هذه اللغة يتسع نطاقها تبعا لارتقاء التفكير واتساع حاجات الإنسان ومظاهر حضارته وتستغني شيئا فشيئا عن مساعدة الإشارات وتبعد عن أصولها الأولى تحت تأثير عوامل كثيرة كالتطورات الطبيعية التي تعتور الصوت وأعضاء النطق الإنساني وكعلاقات المجاورة التي تعتور الدلالات.

وهذه النظرية هي الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة .ومن أهم ما استدل به أصحاب هذه النظرية لغة الطفل التي تبدأ تقليداً، ثم تنمو وتستقيم،فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ في تعبيره للإرادي إلى محاكاة أصوات الطبيعة،فيحاكي الصوت قاصدا التعبير عن مصدره .وثبت كذلك أنه في هذه المرحلة وفي مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتمادا كبيرا في توضيح تعبيره الصوتي على الإشارات اليدوية والجسمية[1]، وأن كثيراً من الأمم البدائية يستخدمون الإشارات اليدوية، والجسمية للمساعدة في التعبير.

5/ نظرية الغريزة الكلامية:

وهى إحدى النظريات الحديثة، وترى أن الإنسان مزود بغريزة خاصة كانت تحمل كل إنسان على تعبير عن كل مُدْرَكٍ حسيٍّ، أو معنوي بكلمة خاصة ولذا اتحدت المفردات و التعابير عند الإنسان الأول، وأنه بعد نشأة اللغة لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة فانقرضت. وممن قال بهذه النظرية الفرنسي "رينان Renan ت 1890م " و الألماني "مكس مولر Max Muller ت 1900م " وهما من أشهر علماء اللغة الأروبيين.

وقد اعتمد مكس مولر في تأييد هذه النظرية على أدلة مستدلة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوربية .وهو يرى أن مفردات هذه اللغات جميعها ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك ،وهذه الأصول تمثل اللغة الأولى التي تشعبت منها هذه الفصيلة .ويرى "مولر"بعد تحليل هذه الأصول أنها تدل على معان كلية وأنه لاتشابه مطلقا بين أصواتها وما تدل عليه من فعل أو حالة.ويرى الدكتور"علي عبد الواحد وافي "بعد عرضه لهذه النظرية أنها فاسدة من عدة وجوه:

– فهي لا تحل شيئا من المشكلة التي نحن بصددها (مشكلة البحث عن العوامل التي دعت إلى ظهور اللغة في صورة أصوات مركبة ذات مقاطع متميزة الكلمات ،والكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها هذه اللغة) بل تكتفي بأن تضع مكانها مشكلة أخرى أكثر منها غموضا،وهي مشكلة "الغريزة الكلامية".

[1] ينظر:علم اللغة:علي عبد الواحد وافي،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،مصر،ط9 /2004 ،ص 120-121 .

– هذا إلى ما تقرره يعتبر – من بعض الوجوه – من قبيل تفسير الشيء بنفسه ،فكا ما تقوله يمكن تلخيصه في العبارة الآتية:"إن الإنسان قد لفظ أصواتا مركبة ذات مقاطع ودلالات مقصودة ،لأنه كانت لديه قدرة على لفظ هذا النوع من الأصوات".وهذا كما لا يخفى مجرد تقرير للمشكلة نفسها في صيغة أخرى.

– على أن قدرة الإنسان الفطرية أو المكتسبة على لفظ هذا النوع من الأصوات ليس موضوع البحث ،لأنه من المقرر أن الإنسان مزود بأعضاء نطق تسمح له بلفظ هذا النوع من الأصوات ،بل إن هذا مشترك بين الإنسان وبعض الطيور.

– ويرى الدكتور"وافي" أن «أكبر خطأ وقعت فيه هذه النظرية هو ذهابها إلى أن الأصول الخمسمائة السابق ذكرها تمثل اللغة الإنسانية الأولى ،فهذه الأصول كما تقدم ،تدل على معان كلية .ومن الواضح أن إدراك المعاني الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتصور وجود مثلها في فاتحة النشأة الإنسانية»[1]

وفي ختام هذا العمل لابد من الإشارة إلى أن هناك نظريات أخرى تصدت لنشأة اللغة[2] ،كتظرية "Pooh-Pooh"التي ذهبت إلى أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة شهقات صدرية عن الإنسان بشكل غريزي للتعبير عن الفرح ،أو دهشة ،أو غضب،أو ألم،أو غير ذلك من الانفعالات ،ونظرية "Ding-Dong" التي ربطت بين ما ينطق به الإنسان من أصوات وبين ما يدور بخلده من أفكار ،أي بين جرس الكلمة ومعناها ،وهي نظرية استلطفها ابن جني وتكلم عليها في بابين من خصائصه هما:"باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[3] و"باب في إمساك الألفاظ أشباه المعاني"[4].وهذه النظرية كما يرى الدكتور "إميل يعقوب" لا تختلف كثيرا عن نظرية "البو-وو Bow-Wow"(محاكاة الأصوات)[5].

ومهما يكن فإن أي نظرية حاولت تقديم لتفسير لنشأة اللغة لم تسلم من النقد ولا من الرفض،لأن موضوعها موغل في القدم والغموض بعيد عن متناول المنهج العلمي الحديث الذي استقرت عليه مباحث علم اللغة.

---

[1] علم اللغة:102 .

[2] دلالات الألفاظ:إبراهيم أنيس،القاهرة،1958 ،/16-23 .

[3] الخصائص:147/2 .

[4] الخصائص:154/2.

[5] فقه اللغة العربية وخصائصها:18 .

المحاضرة الثالثة:

اللغة العربية واللغات السامية (اللغة العربية ولهجاتها)

1/اللغات السامية

السامية تسمية حديثة عهد اقترحها عالم اللاهوت الألماني –النمساوي شلوتزر Scholzer عام 1781 للميلاد، لتكون علماً على عدد من الشعوب التي أنشأت في هذا الجزء من غرب آسيا حضارات ترتبط لغوياً وتاريخياً، كما ترتبط من حيث الأنساب، والتي زعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح، بناء على ما جاء في التوراة في صحيفة الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، من أن الطوفان عندما اجتاح سكان الأرض لم ينج منه سوى نوح وأولاده الثلاثة: سام وحام ويافث وما حمل معه في سفينته من كل زوجين اثنين. وقد شاعت هذه التسمية وأصبحت علماً لهذه المجموعة من الشعوب عند عدد كبير من العلماء في الغرب ومن سايرهم من العرب"[1] على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي، أو إلى أسس علمية عرقية صحيحة، أو وجهة نظر لغوية.

إن هذه الشعوب التي أطلق عليها خطأ اسم "الساميون" هي في حقيقة الأمر قبائل عربية هاجرت بفعل العوامل الطبيعية من جزيرة العرب بحثاً عن الماء والكلأ، ومنها تفرعت الأقوام الأخرى، يؤكد هذا القول ما ذهب إليه "كثير من العلماء الباحثين في أصل الأجناس والسلالات من أن العرب هم أصل العرق السامي، ومن أرومتهم تفرعت الأقوام الأخرى وتشعبت قبائلها، ولهذا الفريق شواهد تاريخية وعرقية ولغوية يدعم بها حجته ويثبت آراءه."[1]

2/الموطن الأصلي للغات السامية :

اختلف علماء الساميات حول الموطن الأصلي للغة السامية الأم. وذهبوا فيه مذاهب شتى، ولم يصلوا بعد بشأنه إلى رأي يقيني ، ومن أشهر الآراء الذي قيلت في هذا الباب ستة آراء[2]:

1- أرض إفريقيا : التي قد انتقلوا منها إلى آسيا منها عن طريق برزخ السوسن. وقد قال بهذا الرأي المستشرق البريطاني بارتون ونولدكه، مدللا عليه الأخير بوجود تشابه بين اللغات الحامية واللغات السامية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف اختفت اللغات السامية من أفريقيا ما عدا الحبشية القريبة من جزيرة العرب؟ إن ما يتكلم عنه نولدكه مرحلة موغلة في القدم تعود إلى ما قبل العائلة الحامية

[1] ينظر:فقه اللغة: مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد،ص73-74.دراسات في فقه اللغة:74-75.

[2] ينظر:فقه اللغة:علي عبد الواحد وافي، ص:9-11.

السامية. هذه الدلائل اللغوية غير واضحة والتشابه لا يعني أن الأصل لا بد أن كان في إفريقيا. لم لا يكون أصل الحاميين والساميين في جزيرة العرب ثم انتقل الحاميون إلى إفريقيا ؟

2- فبعضهم يذهب إلى أن السامين قد نشؤوا ببلاد الحبشة ،ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب، ومن هذا القسم انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية. وقد استندوا في ذلك على ما لاحظوا من أوجه التشابه بين الحاميين والساميين، وإلى وجود أوجه بين اللغات السامية والحامية.

3-أرض أرمينية وكردستان:ويعتمد أصحاب هذا الرأي على أدلة دينية ولغوية توراتية.فقد ورد في العهد القديم أن سفينة نوح رست على جبل في أرمينية وقد عاش نوح وأبناؤه في هذه المنطقة،وقد لعن حام وأبعد منها،ورحل عنها يافث،وبقي فيها سام الذي نشأ أبناؤه هناك فيها،ومن ذريته كان أرفكشد.ويزعم هؤلاء أن في هذه المنطقة إقليم يسمى أربختس،وهذا الاسم ما هو إلا تغيير أرفكشد وهو أحد أبناء سام قائلين أنّ الفاء والباء حروف شفوية والكاف والخاء حروف متقاربة المخارج،أي أن أصل أربختس هو"أربخست" أرفكشد .

4- شمال سورية بلاد آمورو كما كانت تسمى في النقوش القديمة. ويحتج المستشرق الأمريكي كلاي بوثائق تقول إن الأسرة البابلية الأولى قد جاءت إلى العراق نازحة من الغرب من إقليم آمورو في سورية، ويشير كلاي إلى بعض التشابه بين الأساطير العراقية والأساطير الفينيقية وأساطير الساميين في بلاد سورية. هذا التشابه في الخرافات والأساطير لا يقوم دليلالأن هناك تأثيرات متبادلة بين الإقليمين. ثم كيف يمكننا أن نبرر انتقال الإنسان من بيئة غنية بالنبات والزراعة والمياه والطقس اللطيف إلى مناطق قاحلة. ثم كيف استطاعوا قطع الصحراء قبل استئناس الجمال التي لم يثبت استئناسه إلا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

5- أرض بابل في العراق، أي جنوب العراق، وقد قال بهذا الرأي: إرنست رينان، ، وفرينز هومل ، وبيترز، وأغناطيوس جويدي، الذي يقول إن الكلمات المشتركة في النبات والحيوان والظواهر الجغرافية في اللغات السامية تناسب بيئة جنوب العراق وبلاد بابل. فمثلا كلمة نهر موجودة في الأكادية والعبرية والآرامية والعربية والسبئية والأثيوبية بينما بعض هذه اللغات لا يوجد أنهار بأرضها كالعربية، فالجزيرة تخلو من مثل هذه الظاهرة الجغرافية. ويتساءل من أين جاء هذا اللفظ في العربية. يقول لا جواب لهذا في رأيه إلا أن يكون العرب قد عرفوا النهر من قبل، وكان في لغتهم وبقي فيها بعد أن انتقلوا من موطنهم الأصلي. كذلك يزعم أن الجبل له كلمات مختلفة في اللغات السامية: في الآرامية طورا، وفي الأكادية شادوا، وفي العبرية صر، وفي العربية جبل،

وهذا في رأيه يعود إلى أنهم لم يعرفوا هذه الظاهرة في موطنهم الأول، وعندما تفرقوا في البلاد التي فيها جبال كل منهم وضع له لفظا مختلفا عن الآخر.ومن الانتقادات التي وجهت إلى هذا الرأي:

أ- هناك وثيقة تبين أن أحد الملوك الساميين في العراق وهو الملك سرجون الأكادي 2600 ق.م كتب عن أصله في نقش مشهور يفهم منه أنه وعشيرته قد جاءوا إلى العراق من شرقي جزيرة العرب.

ب- هناك وثائق كثيرة تدل على أن أرض العراق كانت أرضاً غير سامية في الأصل حيث كانت موطناً للسومريين وهم جنس غير سامي، ولهم عادات ولغة وملامح غير سامية.

ج- إن وجود كلمة نهر في جميع اللغات السامية مع عدم وجود نهر في بعض المناطق ليس دليلاً قويا، لأن الجزيرة العربية كانت في قديم الزمان بلادا خصبة ذات أنهار وجنان. وأما اختلافهم في كلمة جبل فلا دليل يستفاد منه لأننا نراهم اختلفوا في كلمة رجل ، وقمر ولا يستطيع أن يزعم زاعم أنهم لم يعرفوا مسمياتها إلا بعد رحيلهم من بابل.

6- أما أشهر الآراء وأرجحها فهو القائل إن شبه الجزيرة العربية (اليمن خاصة): هي الموطن الأول للساميين، وقد مال إلى هذا الرأي كثير من المستشرقين مثل إبراهارد شرادر وأيده من بعد فنكلر، وتيله، والأب فنسان، والأثري الفرنسي جاك دي مورجان، والمستشرق الإيطالي كايتاني، الذين يرون أن الموطن الأصلي للساميين كان شبه الجزيرة العربية." واستندوا في ذ ذلك إلى عدة أدلة منها[1]:

أ_ المسكن: فأكثر المناطق التي حُددت على أنها الوطن الأول للساميين كانت مسكونة بشعوب غير سامية، على حين لا يُعرف قومٌ غير الساميين سكنوا جزيرة العرب.

ب_ الهجرات: فالتاريخ يتحدث عن هجرات كانت تنطلق من جزيرة العرب إلى بلاد الشام والعراق، ولم يذكر عكس ذلك، وقد استمرت تلك الهجرات حتى غمر المهاجرون أرض العراق والشام وأفريقيا.

والنقوش السورية تبين أن بلاد سومر كانت مهددة دائماً بهجرات قبائل تأتي من الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية.

ج_ ملائمة بلاد العرب: فقد ذكر بعض العلماء أن بلاد العرب كانت في العصور القديمة كثيفة بالسكان، خصبة الأرض، موفورة الخيرات، تخترقها عدة أنهر، وأنه على أثر بعض الظواهر الجيلوجية فقدت تلك المناطق خصبها، فنزح أكثر سكانها إلى مناطق أخرى.

وقد عرف العرب السدود والأنهار، وقصص القرآن الكريم تحدثنا عن (سبأ) و (عاد) و (ثمود) وغيرهم كما

[1] فقه اللغة :مفهومه – موضوعاته – قضاياه:محمد بن إبراهيم الحمد،دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع،السعودية ، ط1426/1هـ-2005م، ص:81-82.

تحدثنا عن القصص الدينية والروايات التاريخية عن كثير من الأمم التي سكنت جزيرة العرب، وكانوا يعيشون في رغد من العيش، وأن الله ــ تعالى ــ انتقم من كثير منهم لكفرهم بنعم الله ــ تعالى ــ .

د_ أن العرب أقرب الشعوب إلى السامية: فالمستشرقون يرون أن أقرب الشعوب إلى الساميين لغة، وخلقاً هم العرب، الذين بقوا في أرضهم ولم يختلطوا كثيراً مع غيرهم، وأن كثيراً من الألفاظ السامية يعبر عن عقلية تعتمد على المشاهدات الحسية التي تنشأ في الصحراء.

هذه الأدلة دفعت بكثير من العلماء إلى الأخذ بهذا الرأي، وإلى افتراض أن أقدم موطن للساميين هو جزيرة العرب، أو أنها أقدم موطن عرف للساميين، بمعنى أنه لا يستبعد أن يكونوا قد نزحوا إليها من مكان آخر في فترة موغلة في القدم.

وإليك الخريطة التي تثبت شجرة الساميات:

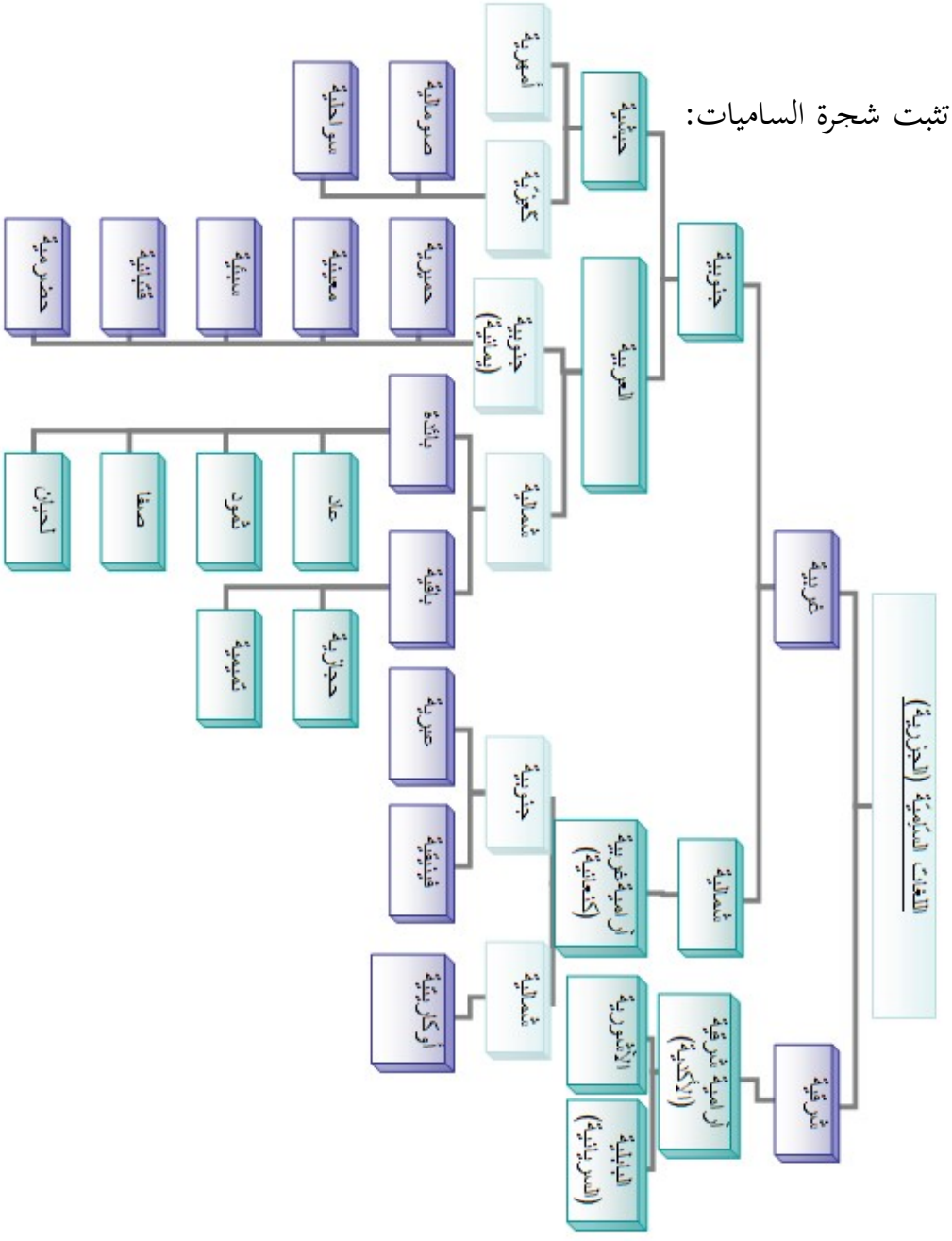

3/الخصائص المشتركة بين اللغات السامية :

يرى علماء اللغة ،وخصوصا علماء النحو المقارن الغربيون وجود خصائص لغوية مشتركة بين اللغات السامية تتصل بالمستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية ،والمعجمية.

3-1- الخصائص الصوتية : تمتاز اللغات السامية باحتوائها على حروف الحلق (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) بحيث لا تخلو لغة سامية من بعض هذه الحروف، ويضيع منها بعضها، أو يتحول إلى صوت آخر تحت تأثير اللغات الأخرى.

وقد استنتج العلماء أن السامية كانت تعرف حروف الحلق كما هي في العربية، وأن فقدها من غير العربية طرأ على الساميات، خصوصاً حرف (الحاء) حيث زعم ابن فارس أن الحاء، والظاء مما اختصت به العرب[1].

وقال _ أيضاً _: "وزعم أناس أن الضاد مما اختصت به العرب دون غيرهم"[2].

وحروف التفخيم أو الإطباق: (ص، ض، ط، ظ، ق) من مميزات اللغات السامية، وقد أجمع الباحثون على وجود القاف والطاء والصاد في كل اللغات السامية، أما الظاء فيظن أنها متطورة عن الصاد، والضاد من خصائص العربية فلا توجد في غيرها _ كما مر _.

والحروف بين الأسنانية (ذ، ث، ظ) مما تُمَيِّزُ السامية؛ فالذال والثاء صوتان أصليان في السامية الأولى، وإن فُقدا من بعض اللغات السامية، وتحولا إلى أصوات أخرى كما هو الحال في العاميات العربية.

3-2/ الخصائص الصرفية :

تتألف الكلمة في الساميات من ثلاثة أصوات صامتة غير لين،إلا أن بعض الباحثين رأى أن الأصل السامي ثنائي لا ثلاثي.وذلك لوجود أصول تتألف من صوتين فحسب، كبعض الحروف(من، عن، هل، لم...)وبعض الضمائر(هو ،هي، هم) وبعض أسماء الشرط(من، ما، ...) وأسماء الموصول(من، ما) وأسماء الإشارة(ذا، ذي، ...)وبعض أسماء الذوات (يد، دم، ...).

ومن الصيغ التي تميز الساميات عن سائر اللغات صيغة المثنى المتوسطة بين صيغتي المفرد والجمع ،أما اللغات السامية تجعل بين هاتين الصيغتين صيغة أخرى تدل على الاثنين.

[1] انظر الصاحبي:63.

[2] الصاحبي ص63.

أما بالنسبة لزمن الفعل فإنه يوجد في معظم اللغات السامية زمنان ، فالفعل فيها إما فعل انتهى زمنه، وهو الماضي، وإما لم ينته زمنه وهو المضارع للحال أو الاستقبال، والأمر .ويبدو أن الأكادية وحدها بين أخواتها الساميات عرفت ثلاثة أزمنة

3-2/ **الخصائص النحوية** : اتسمت اللغات السامية بظاهرة الإعراب على الرغم من أنها زالت من بعض اللغات السامية ،ولكنها ظاهرة أصلية في اللغة السامية الأولى .ويبدو أن الإعراب في العربية امتداد للغة السامية الأولى[1].

أما بناء الجملة في اللغات الشامية تطور تطورا ملحوظا عبر الأزمنة؛إذ يرى بعض الباحثين أن الجملة في اللغات السامية كانت قصيرة ترتبط إحداهما بالأخرى باستخدام الواو،وهذا الذي ظهر في العبرية وفي نصوص العربية القديمة ،بيد أنها تلاشت من اللغة العربية الفصحى منذ زمن طويل ،ثم تطورت أساليبها ولم يعد لها أثر إلا في اللهجات العربية، وخصوصا عند الأميين الذين لم يعرفوا الفصحى، ولم يتأثروا بأساليبها.

3-4/ **الخصائص المعجمية** : لقد أجمع المشتغلون باللغات السامية الكثير من الألفاظ المشتركة بينها ،فمنها ما يختص بألفاظ القرابة مثل:أب، وأم، وأخ، وأخت، وحم. ومنها ما يدل على أعضاء الجسم كعين، وأذن، ويد، ورجل، ورأس، وشعر.وألفاظ تدل على الحيوانات، ككلب، وليث، وعجل، وأخرى دالة على بعض النباتات، كقمح، وسنبلة، وثوم، وكمون.كما تشترك في بعض الألفاظ الدالة على الضمائر نحو:أنا، وهو، وهي، وتشترك أيضا في الألفاظ الدالة على الأعداد من واحد إلى عشرة[2].

4/**الاختلاف بين اللغات السامية:** مع قوة القرابة بين أفراد هذه الفصيلة ، فإن بينها كثيرا من وجوه الاختلاف ويمكن تصنيفها على غرار الخصائص المشتركة إلى أربعة مستويات:

4-1/ **المستوى الصوتي:** لقد تميزت اللغات السامية العربية الشمالية والعربية الجنوبية بأصوات الحلق (الهمزة،الهاء،العين، الحاء،الغين،الخاء) ،و الإطباق(الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، القاف)، لكن وجودها يختلف من لغة إلى أخرى.فالعربية مثلا تحتوي على كل هذه الأصوات،وأما صوت العين فيختفي من المهرية ،وصوت الخاء العبرية تختفي أيضا لأن صوت الحاء يمثل الحاء والخاء العربيين فكأنهما اندمجا في صوت واحد، أما اللغة الأكادية فلم يبق من أصوات الحلق فيها إلا صوتا الهمزة والخاء.

[1] ينظر:علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية:محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت ،1973م ،ص:144.

[2] ينظر:فقه اللغة ،مناهجه ومسائله:ص 115.

وكذلك الكلام عن أصوات الإطباق يلاحظ أنها تقلصت في بعض اللغات السامية؛إذ نجد أن صوت الصاد يقابل ثلاثة أصوات في العربية(| ضاد،ظاء،صاد)،والشيء نفسه في اللغة الأكادية إذ الصاد تقابل كل من(الصاد، الظاء، والضاد)،أما بالنسبة إلى اللغة الآرامية فقد تحولت الضاد مرة إلى قاف، وأخرى إلى عين وهذا من أصعب التحولات الصوتية تفسيرا[1].

ومن وجوه الاختلاف في الأصوات أيضا أن صوتي (الذال والغين)العربيتين لا وجود لهما في العبرية، وبالمقابل فالصوتان(p و v) لا وجود لهما في العربية.

أخيرا يلاحظ على هذا المستوى أن أغلب ما يأتي في العبرية بالسين يأتي بالعربية والحبشية بالشين والعكس بالعكس[2].

4-2/المستوى الصرفي:

تختلف اللغات السامية في بناء الفعل للمجهول ،ففي العربية يضم أول الماضي ويكسر ما قبل آخره، ويضم أول المضارع ويفتح ما قبل آخره ،أما في الآرامية فيزاد على الفعل الماضي الثلاثي للغائب(إِتْ) في أوله، وعلى الفعل المستقبل للغائب(نِتْ) في أوله.

أما أداة التعريف في العربية(أل) فوهي تدخل على أول الاسم، وفي العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة أداة التعريف هي حرف(هـ) في أول الاسم، وهي في السبئية نون تزاد في آخر الاسم،وهي في الآرامية حرف(آ) يزاد في آخر الاسم، وأما الأكادية والحبشية فليس فيهما أداة مطلقا.

أما بالنسبة لعلامة الجمع في المذكر السالم فيكون بزيادة واو ونون في آخره رفعا، وياء ونون نصبا وجرا.ويكون في العبرية بزيادة(يم) في آخر الاسم مع كسر ما قبل الياء، وبالنسبة للآرامية فيزاد حرفا(ين) في آخر الاسم مع كسر ما قبل الياء.

ويجمع الاسم جمع مؤنث سالما في العربية بزيادة الألف والتاء في آخره، أما في العبرية فعلامة جمع المؤنث هي الواو والتاء في آخر الاسم[3].

4-3/ المستوى النحوي:

لقد سبق وأن ذكرنا أن الإعراب خاصية مشتركة في اللغات السامية ، إلا أن الكثير من هذه اللغات تخلصت منه ،وفي حقيقة الأمر الإعراب ظاهرة في اللغة السامية الأم .وبقيت هذه الظاهرة في لغتين هما

---

[1] ينظر:علم اللغة العربية:محمود فهمي حجازي:141.

[2] ينظر:فقه اللغة:علي عبد الواحد وافي، ص:22.

[3] ينظر:فقه اللغة وخصائصها:115،فقه اللغة ،،مناهجه ومسائله:ص 116-117.

الأكادية والعربية، وإن كان في العربية أبين وهو ما جعل الباحثين في فقه اللغة أو بعضهم على الأقل يرى أن العربية هي الأقرب إلى اللغة الأم لأنها حافظت على الكثير من خصائصها اللغوية، وسبب ذلك يعود إلى بعدها عن التأثيرات الأجنبية والاتصال بالشعوب الأخرى جعلهم يحافظون على هذه الخصائص.

4-4/ المستوى المعجمي:

على الرغم من وجود ألفاظ مشتركة بين اللغات السامية إلا أنها تختلف كثير في معجمها وهو اختلاف طبيعي يبدأ يسيرا ثم يكبر، ويتسع مداه ، وذلك بمرور الزمن ، وبالتباعد الجغرافي ، وبتعاقب الظروف الاجتماعية والحضارية والسياسية التي مرت بها من تلك اللغات.

وجل ما وصل إلينا من ألفاظ مشتركة ومختلفة بين اللغات السامية القديمة إنما هو ما حفظ في النقوش والكتب المقدسة، والمؤلفات المختلفة، أما الألفاظ المستعملة بين أفراد الشعوب السامية فلم يصلنا منها شيء، وهذا ما جعل المقارنة على مستوى المعجم ناقصة من حيث النتائج المتوصل إليها.

5/العربية ولهجاتها:

منذ عصور سحيقة في التاريخ انتشرت اللغة العربية في كل مناطق الجزيرة العربية وأنحائها المختلفة وتفرعت بفعل عوامل التطور اللغوي إلى لهجات متباينة لكل قبيلة لجهتها الخاصة بها ، أدى ذلك إلى أن قسم المستشرقون هذه اللهجات إلى قسمين : لهجات الشمال ولهجات الجنوب . وقد أشار إسرائيل ولفنسون إلى ذلك بقوله « وقد وجدنا العلماء من العرب والإفرنج يقسمون اللهجات العربية إلى قسمين يشتمل القسم الأول على جميع اللهجات العربية في شمال الجزيرة ، والآخر يشمل اللهجات التي في الجنوب»[1]

إلا إن هذا التقسيم لم يَرُق له " ولفنسون " فاعترض عليه ورأى أن لا يعتمد على أسس علمية سليمة وإنما يعتمد على أسس جغرافية وتاريخية غير دقيقة ، كما يرى أن أصحاب هذا التقسيم لم يقدموا تبريراً معقولاً لهذه التسمية ، فيقول : " إنهم لم يشرحوا لنا شرحاً وافياً السبب الذي حملهم على تقسيمهم هذا ولم يبينوا له علة ... إنه ليس تقسيماً جغرافياً صحيحاً ولا تاريخياً دقيقاً فليست هناك حدود واضحة تفصل شمال الجزيرة عن الجنوب ، وتبين لنا من أين وإلى أين كانت منطقة انتشار القسم الجنوبي من اللغة العربية ، ومن أين

[1] تاريخ اللغات السامية،:إسراء ولفنسون، ص:163 ،نقلا عن فقه اللغة وخصائصها:ص116.

وإلى أين سادت اللهجات الشمالية من العربية " ثم يقترح أن تقسم هذه اللهجات العربية إلى عربية بائدة وأخرى باقية ، فيقول: «والذي نراه صواباً أن تقسم اللهجات العربية إلى بائدة وباقية»[1].

ومهما يكن من أمر فإن أي تقسيم سواء كان جغرافياً أم تاريخياً أم غير ذلك سيقودنا إلى القول بأن اللهجات العربية القديمة قد انقسمت إلى عربية بائدة تضم تلك اللهجات التي عثر عليها في جنوب بلاد العرب ، وبعضاً من لهجات الشمال ، حيث سادت هذه اللهجات في فترات تاريخية مختلفة ، ثم أتت عليها يد الدهر فأبادتها . وعربية باقية ، وهي التي سادت في العصور الجاهلية ، ونظمت بها القصائد ونزل بها القرآن الكريم ، وهي التي تستخدمها في كتابتنا بها إبداعتنا ونتحدث بها اليوم . وبناءً على ما سبق سنقوم بدراسة اللهجات العربية على هذا الأساس " العربية البائدة والعربية الباقية"

5-1/ العربية البائدة وأهم لهجاتها:

أما العربية الشمالية: فإننا لا نكاد نعرف شيئًا عن نشأتها، والمراحل التي اجتازتها في عصورها الأولى، وهي قسمان: العربية البائدة:هي مصطلح اعتاده الباحثون على إطلاقه في مقابل "العربية الباقية" ، وقد يطلقون على هذه "العربية البائدة" "عربية النقوش"،والنقوش المقصودة منا هي تلك النقوش التي اكتشفها عدد من الباحثين الأوروبيين في منطقة شمال الجزيرة العربية قرب الحدود الآرامية،وفي داخل هذه الحدود وخصوصا في واحات تيماء،والحجر"مدائن صالح"،ومنطقة العلا في شمال الحجاز،ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر.وأول من بدا اكتشافها(Doughty)1867-1877م.وقد صنفت هذه النقوش إلى نوعين: أحدها مكتوب بعناية وإتقان ،وحروفه واضحة متميزة، وقد أطلق عليه اسم نقش "Inscription ".والثاني تفتقر كتابته إلى العناية ووضوح الخط،وقد أطلق عليه اسم المخربشات Graffitti .

ثم إن الباحثين قد قسموا هذه النقوش التي بلغ مجموعها عدة آلاف إلى ثلاثة أقسام ،وهي النقوش الثمودية، والنقوش الصفوية، والنقوش اللحيانية.كما اعتمدوا في هذا التقسيم على معايير متعددة،منها:الأماكن التي وجدت فيها النقوش، والخصائص اللغوية، وخصائص الكتابة.

وواضح أن المراد من العربية البائدة عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام، وهي التي ظهر على آثارها الطابع الآرامي ، لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز، على حين يقصد بالعربية الباقية

[1] تاريخ اللغات السامية،:إسراء ولفنسون، ص:164 ،نقلا عن فقه اللغة وخصائصها:ص117.

هذه اللغة التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب ، وهي التي وصلت إلينا عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر الجاهلي.وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث: الثمودية، والصفودية، واللحيانية[1].

5-1-1/**الثمودية:** هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود, التي جاء في القرآن ذكرها وذكر مساكنها في مواضع كثيرة, وتاريخ معظم النقوش المدونة بهذه اللهجة يعود إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد, ويبلغ تعداد هذه النقوش ما يزيد عن ألف وسبعمائة عُثِرَ عليها فيما بين الحجاز ونجد وفي شبه جزيرة سيناء وبالقرب من دمشق، وقد دونت بخط جميل أنيق مشتق من "المسند", يتجه من أعلى إلى أسفل، ولا يثبت على حال واحدة, وإذا أمعنَّا النظر في النقوش الصفوية, وجدنا فيها كلمات غير مألوفة في العربية, أخذت من العبرية والسريانية.

5-1-2/**الصفوية:** هي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا، وإن كانت نقوشها قد عثر عليها في مواطن مختلفة في الحَرَّةِ الواقعة بين تلول الصفا وجبل الدروز, ويبلغ عدد هذه النقوش حتى هذا التاريخ ما يزيد على ألفين،ولعل تاريخ تدوينها يرجع إلى ما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين.

وقد حل معظم رموزها واكتشف حروفها الأبجدية المستشرق الألماني إنّو ليمان Enno Litmann، ولاحظ أن خطها قريب من الثمودي، ولا يبعد أن يكون مشتقًا منه، إلّا أنه شديد التغير والاختلاف، فما يكاد يستقر على حالٍ واحدة، فهو تارةً يقرأ من الشمال إلى اليمن، وتارةً أخرى من اليمين إلى الشمال. وهذا التشابه بين الخطين الثمودي والصفوي, جعل بعض العلماء يطلقون على الخط القديم الذي يبدو فيه أثر النوعين كليهما اسم: "الخط الثمودي الصفوي" فإذا أرادوا التمييز والتفرقة قالوا: هذا خط ثمودي فقط، وهذا خط صفوي فقط.

5-1-3/**اللحيانية:** هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان, التي يرجح أنها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد, وقد عُثِرَ على نقوش كثيرة تذكر أسماء ملوك لحيان، وأغلب الاحتمالات أن تاريخ هذه النقوش يعود إلى ما بين سنة 400 وسنة 200 قبل الميلاد, والخط الذي دونت به مشتَقٌّ كذلك من المسند، غير أنه آنق، وألطف وأثبت نظامًا, وأكثر رونقًا من الخطين الثمودي والصفوي، فهو يكتب مستعرضًا من اليمين إلى الشمال.

5-2/ **العربية الباقية وأهم لهجاتها:** المراد بالعربية الباقية تلك اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم واستخدمها النبي ﷺ في حديثه ،والتي نظم بها الشعر الجاهلي،وصيغت بها الخطب والحكم والأمثال التي وصلت إلينا من عصر الجاهلية، والتي استخدمت لغة للأدب العربي، شعرا ونثرا، ودونت بها العلوم المختلفة

[1] ينظر:فقه اللغة وخصائصها:118-120،دراسات في فقه اللغة:55-56،فقه اللغة مناهجه ومسالكه:124-126.

بعد ظهور الإسلام حتى يومنا هذا.وهي نفسها هذه اللغة العربية الفصحى المعتمدة اليوم،وإليها تنصرف كلمة"العربية" عند إطلاقها.

وقد تكونت هذه اللغة المشتركة جراء احتكاك العرب بعضهم ببعض في كثير من مجالات الحياة . فهناك احتكاك في النشاط التجاري المتمثل في الأسواق ، فقد كان للعرب في جاهليتهم عدد كبير من الأسواق أشهرها : عكاظ ، والمجنة ، وذو المجاز ، ودومة الجندل ، وخيبر ، والشحر[1] . وهناك احتكاك عن طريق الحروب ، كحرب الفجار ، وحرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء وغيرها ، إلى جانب احتكاكهم من خلال الأحلاف والعهود والمناظرات الأدبية والمساجلات الشعرية ، وغيرها ، فقد كان سوق عكاظ " مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً ، له محكمون تضرب عليهم القباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم ، فما استجادوه فهو الجيد ، وما بهرجوه فهو الزائف.

إلى جانب هذه العربية المشتركة كانت هناك لهجات متعددة " ففي كل بلاد العالم لا بد للغة المشتركة من مكان تتميز فيه ، وأسباب وظروف معينة تساعد على تكوينها وازدهارها ، وحياتها بجانب اللهجات الأخرى . وقد اختلفت هذه اللهجات فيما بينها في كثير من مظاهرها الصوتية والدلالية وغيرها ، وكان العربي يتكلم مع أهله وعشيرته بلهجتهم الخاصة ، وإذا أراد أن يربح خطبة أو أن ينظم شعراً لجأ إلى تلك اللغة المشتركة التي يفهمها كل العرب والخالية من كل الصفات اللهجية الخاصة ، قال إبراهيم أنيس : « ونحن حين نستعرض شعراء ربيعة تلك القبيلة التي عُرفت بالكشكشة لا نكاد نلمح أثراً لتلك الصفة في شعر شعرائها ، ورواية شعر فيه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الأوزان الشعرية ، بل حين نرجع إلى ديوان الهذليين لنستشف منه الصفات التي عرفت بها لهجة هذيل كالفحفحة أو تسهيل الهمزة أو الاستنطاء ، لا نكاد نعثر على أثر له في أشعارهم »[2] .

ولولا أن هذه اللغة المشتركة لم تكن في متناول جميع العرب ، وأنها أرقى مستوى من بقية اللهجات ، لما اعتبرت مقياس البلاغة والفصاحة ، ولما أمكن الحكم على كلام بأنه أفصح من غيره ، وعلى شاعر بأنه أفضل من غيره.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : كيف تكونت هذه العربية المشتركة ؟ بداية يجب الإشارة إلى أن اللهجات العربية القديمة التي كانت موجودة في جزيرة العرب لا بد أن تكون قد انشعبت عن لغة واحدة

[1] ينظر:فقه اللغة وخصائصها، ص:117.

[2] في اللهجات العربية:د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1990/8م،ص:38 وما بعدها.

ومعلوم أن اللغة تزرع بذور فنائها في رحمها ، لأنها تتطور فينتج عن تطورها بعض الاختلافات ، وتنمو هذه الاختلافات تدريجياً ، ويستعمل كل مجموعة منها مجموعة من الناس ، وتعرف حينئذٍ باللهجة التي تنمو وتبتعد تدريجياً عن اللغة الأم التي يبدأ الضعف يدب في أرجائها وتبدأ تفقد من يتكلمون بها ولا تلبث أن تموت وتندثر ، وتخلفها تلك اللهجات التي تصبح لغات مستقلة لكل منها خصائصها وقوانينها .

هذا الأمر يحدث مع كل اللغات إلا اللغة العربية التي سادت بعكس سنة تطور اللغات ، فبدلاً من أغلالها وتمزقها إلى لغات مختلفة ، تجلّت العناية الإلهية في توحيد اللهجات العربية في لغة مشتركة تميزت عن بقية اللهجات بالبلاغة والفصاحة والبيان ، وهذا ما أوحى بأن هذه اللغة المشتركة سيكون لها شأن عظيم تجلى ذلك في نزول القرآن الكريم بها ، وجاء هذا القرآن وهذا الدين للعالم كافة لتكون هذه اللغة للعالم كافة .

3-5/آراء العلماء القدماء والمحدثين حول نشأة اللغة المشتركة: كان لعلمائنا القدماء والمحدثين آراء متباينة حول نشأة اللغة المشتركة تمثلت فيما يلي:

الرأي الأول : يؤكد أن لهجة قريش أفصح اللهجات العربية ، وأنها استطاعت التغلب على سائر اللهجات العربية التي كانت في شبه الجزيرة العربية ، وبه قال كثير من العلماء والباحثين قديماً وحديثاً ، فابن جنّي يربأ بلهجة قريش عن أن يكون لها صفات لهجية مذمومة ، فيقول : «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة[1] تميم ، وكشكشة[2] ربيعة ، وكسكسة[3] هوازن ، وتضجع[4] قيس ، وعجرفية[5] ضبة وتلتلة[6] بهراء»[7].

ويرى ابن فارس أن قريشاً أفصح لأن الله سبحانه اختار منهم رسوله الأمين ، فيقول : « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله – جل ثناؤه – اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة مُحَمَّد ﷺ ... »[8].

ونجد صدى هذا الحديث لدى بعض الباحثين المعاصرين ، فيرى علي عبد الواحد وافي أن لهجة قريش تغلبت على سائر اللهجات العربية وانتصرت عليها بعد صراع مرير معها ، يقول : « اشتبكت اللهجات

---

[1] هي إبدال العين من الهمزة ، يقولون : أشهد عنك رسول الله ، أي (أنك).

[2] هي إبدال الكاف المؤنثة شيناً ، يقولون : عليشِ ، ومنشِ ، في عليكِ ومنكِ .

[3] هي إبدال الكاف المؤنثة سيناً ، يقولون : أبوسِ ، أمسِ ، يريدون : أبوكِ ، أمكِ .

[4] لعلها قلب القاف جيماً ، نحو : الجعبة ، في الكعبة .

[5] عبارة عن التقعر في الكلام والجفاء فيه .

[6] وهي كسر حرف المضارعة ، فيقال : أنا إِعلم ، ونحن نِعلم ، وأنت تِدرس .

[7] الخصائص : 11/2 .

[8] الصاحبي في فقه اللغة ، ص 52

العربية بعضها مع بعض في صراع لغوي كتب النصر فيه للهجة قريش فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة ، واستأثرت بميادين الأدب وشعرها وخطابتها ونثرها في مختلف القبائل العربية فأصبح العربي أيّاً كانت قبيلته يؤلف شعره وخطابته ونثره الأدبي بلهجة قريش»[1] " . وهذا كلام غير دقيق ومجافٍ للحقيقة العلمية ، فليس من السهولة بمكان أن تسيطر لهجة مهما كانت سطوتها وجبروت أهلها على غيرها ، كما لا يمكن أن يقبل أهل اللهجات المغلوبة هذا الأمر ، خاصة إذا كان هؤلاء الأقوام يعيشون بالعقلية القبلية التي تأنف الخضوع للغير

ثم يزعم في موضع آخر من كتابه : « أن لا غرابة إذاً في أن القرآن وقد جاء بلغة قريش كان مفهوماً لدى جميع القبائل ، وكان يؤثر في العرب جميعاً ببيانه وبلاغته . فقد نزل بعد أن تمَّ للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى ، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب»[2] . إنه يجزم أن القرآن نزل بلهجة قريش وهذا القول بجانب الصواب ، فالقرآن كما هو معلوم نزل بلغات العرب كلها ليكون مفهوماً لكل العرب ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : نزل القرآن بلغات العرب وكلها كافٍ شافٍ . ويمكننا أن نتعرف على اللهجات العربية في القرآن الكريم بسهولة ويسر .

أما صبحي الصالح فيرى أن لهجة قريش هي العربية الفصحى ، مع أنه يعترف أنها لم تكن في جميع حالاتها أفصح من لهجة تميم ، فيقول : « وسنرى أن لهجة قريش التي جعلتها العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية اللغة العربية الفصحى المقصودة عند الإطلاق ، لم تكن في جميع الحالات أقوى قياساً من لهجة تميم ، بل كثير ما ثقفوها في بغض ذلك تميم ، ولكنها – أي القرشية – باعتراف من جميع القبائل وبطوعية واختار من مختلف لهجاتها ، كانت أغزرها مادة ، وأرقها أسلوباً ، وأغناها ثروة ، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة»[3] .

الرأي الثاني: جاء على لسان طه حسين الذي يرى أن لهجة قريش بما توفر من سلطان سياسي وديني واقتصادي حريّ بها أن تسود غيرها من اللهجات إلاّ أنه لا يعلم متى تمت لها هذه السيادة ، قبل الإسلام أم بعده ، فيقول : « فالمسألة إذاً هي أن نعلم أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربية وأخضعت العرب لسلطانها في الشعر والنثر قبل الإسلام أم بعده ؟ أما نحن فنتوسط ونقول إنها سادت قبيل الإسلام حين عَظُم شأن قريش ، وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت

[1] فقه اللغة:علي عبد الواحد، ص:87.

[2] فقه اللغة: عبد الواحد وافي، ص:89.

[3] دراسات في فقه اللغة:66-67.

تتسلط على أطراف البلاد العربية ... فقد اجتمع لقريش سلطان سياسي واقتصادي وديني . وأخلق بمن يجتمع له هذا السلطان أن يفرض لغته على من حوله من أهل البادية ... لغة قريش إذاً هي اللغة العربية الفصحى فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السيف ، وإنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية ، وكانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب ، كما كان الحج وسيلة من وسائل السيادة للغة قريش »[1] .

الرأي الثالث: جاء على لسان عبده الراجحي الذي رأى أن الآراء التي ذهبت إلى أن لغة قريش هي العربية المشتركة إنما جاء لتمجيد لغة قبيلة الرسول ﷺ . قال : « إن هذه الآراء التي تذهب إلى أن لهجة قريش هي اللغة المشتركة الفصحى لا تقوم على أساس لغوي علمي صحيح ، لأننا لا نستطيع أن نحكم على لغة من اللغات من أقوال الرواة عنها ، خاصة وأن هذه الأقوال ينبغي أن نأخذها بقدر كبير من الحيطة والحذر ، لأنها – كما نحسب – لم تصدر إلاّ عن تمجيد لقبيلة الرسول ﷺ » . فهذه الروايات التي تزعم أن لغة قريش هي اللغة المشتركة لا يمكن الاعتماد عليها ، فليس لها سند علمي يمكن من خلاله الحكم على ما جاءت به . « وقد كنا نستطيع أن نحكم هذا الحكم لو توافرت لدينا نصوص لغوية من لهجات القبائل تتميز بها أمامنا لهجة قريش وغيرها بحيث يُظهر لنا تطور هذه النصوص أن لهجة قريش استطاعت أن تسود غيرها من اللهجات ، وأن تفرض نفسها لغة نموذجية مشتركة يصطنعها الشعراء في شعرهم والخطباء في خطبهم » وهذا يعني أن لغة قريش ليست اللغة العربية المشتركة ، يقول حاتم الضامن : « إن اللغة المشتركة هي ليست لغة قريش وحدها ، أو تميم أو غيرها من قبائل العرب ، بل هي مزيج من كل هذا تكونت له شخصيته وكيانه وأصبح مستقلاً عن اللهجات »[2] وبهذا نؤكد أن العربية المشتركة لم تكن لهجة قريش فقط ، بل هي مزيج اشتركت في إنتاجه معظم لهجات العرب « فهذه اللغة المشتركة لا تنسب إلى قبيلة بذاتها ، ولكنها تنسب إلى العرب جميعاً ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها ، وهذه النصوص – كما تعلم – ليست قرشية أو تميمية أو هذلية فقط ، بل هي من قبائل مختلفة مما يدل على أن هذه اللغة المشتركة هي التي كان الأدباء يصطنعونها في فنهم القولي ».

[1] في الأدب الجاهلي: طه حسين، 107.

[2] فقه اللغة :حاتم الضامن، ص:54.

ومهما يكن من أمر فإن لغة قريش ليست اللغة المشتركة ، لأنها لم تكن أفصح اللهجات العربية ، وقد اعترف بذلك القرشيون أنفسهم وأكدوا ذلك بإرسال أبنائهم إلى البادية لتعلم الفصاحة ، فلو وجدوا في أنفسهم فصاحة أكثر من فصاحة "البادية"أرسلوا أبنائهم لهذا الغرض. كما أن نتائج الدراسات اللغوية تميل إلى ما يلي:

-1نزل القرآن بهذه اللغة المشتركة المصطفاة من معظم اللهجات العربية حتى يكون مفهوماً لدى كل العرب .

-2كانت في جزيرة العرب لهجات متعددة تختلف في كثير من الجوانب اللغوية ، تختلف في الأصوات ، وفي التركيب وفي الدلالة وغيرها ، وإلى جانب هذه اللهجات وجدت اللغة المشتركة التي كان يستخدمها الخاصة في معاملاتهم ، والشعراء في نظم قصائدهم والخطباء في تبريج خطبهم ، وكانت مستعصية على عامة الناس

.

-3في القرآن الكريم أشياء كثيرة من لهجات القبائل المختلفة ، حتى ذهب أحد الباحثين إلى القول إن في القرآن خمسين لغة "

-4لهجة قريش هي الأكثر وروداً في القرآن الكريم ، يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم .

المحاضرة الرابعة:

العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها

1/ تمهيد:

تعد العناية بالدّلالة أو المعنى من أقدم الاهتمامات الفكريّة للإنسان؛ فقد شغل هذا الموضوع أذهان الفلاسفة و المناطقة واللّغويّين والنّحاة، وكذا الأدباء والأنتروبولوجيّين وغيرهم من فئات المجتمع على اختلاف تخصّصاتهم العلمية، وذلك لأهميّته فهو يمثّل عصب البحث وقوامه في كلّ دراسة.

والدّلالة هي تلك الرابطة الخفية التي تجمع بين الائتلاف الصوتي وهو ما يعرف باللفظ وما يحمله هذا الائتلاف من معنى.فاللفظ"دال"والمعنى"مدلول"،والدلالة هي ذلك المدرج الذي ينصرف إليه بال الإنسان حين النطق والسماع[1] .

وإذا كان القرآن الكريم هو النص المحوري في الثقافة العربية الإسلامية،فإن ثنائية اللفظ والمعنى تعد أبرز مبحث تنازعته علوم هذه الثقافة، والسبب في ذلك أن علاقة اللفظ بالمعنى تمتد إلى أعماق بعيدة تنتظم النشاطات البشرية في المجال اللغوي، من كلام وإبداع ونظم وغير ذلك...فكان لابد أن يوجد مصطلح يمثل جهة اللغة ويعبر عنها وهو (اللفظ)ومصطلح يعبر عن جهة المضامين وهو (المعنى).و إذا أردنا أن نتتبّع ظاهرة "اللفظ والمعني" فلابُدَّ لَنا أن نبدأ بمعنى الكلمتين « اللفظ والمعنى » في المعاجم العربية كأولّ خطوة للغوص في هذا الموضوع .

فقد تبادرت إلى أذهان الباحثين في علقة اللفظ بمعناه تساؤلات جمة حفزتهم على الاجتهاد لكشف كنه هذه العلاقة الجدلية[2]. فهل توجد فعلا علاقة تربط اللفظ بمعناه أم لا ؟ وإن وجدت فما طبيعتها وما مداها ؟ أهي ذاتية موجبة بحيث إذا ذكر هذا الاسم أثار بالضرورة صورة المسمى في جميع أذهان الناس ؟ أم أنها اصطلاحية اعتباطية لم تثر صورة المسمى إلا في أذهان المصطلحين و المتعارفين عليها وحدهم دون سواهم ؟.

هذه الأسئلة حملتنا إلي دراسة ظاهرة العلاقة بين اللفظ والمعنى – وان كانت متواضعة – قدر استطاعتي وسعيتُ فى هذا البحث أن أتناول اللفظ والمعنى في المعاجم العربية، اللفظ والمعنى عند العلماء

---

[1] البنية اللغوية في اللهجة الباهلية:دراسة في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، عبد القاهر عبد الجليل ،دار صفاء ،الأردن ،ط:1 /1417هـ-1997م،ص:97.

[2] – الوجيز في فقه اللغة ، محمّد الأنطاكي ،مكتبة دار الشرق،لبنان،ط:1، دت،ص:366.

القدامى اليونانيين والهنود من مثل؛ أرسطو، أفلاطون ، سقراط و...، اللفظ والمعنى عند علماء العرب القدامى، اللفظ والمعنى عند علماء اللغة الغربيين المحدثين.

2- اللفظ:

اللفظ في اللغة يعني الطرح والرمي والنبذ مطلقا، أي سواء كان الطرح من الفم أم غيره، وسواء كان المطروح من الفم صوتا أم غيره وجاء في معجم مقاييس اللغة بأن : «اللام و الفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم، تقول لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت الشيء من فمي»[1]،و قيل بأن اللفظ "مصدر للفعل بمعنى الرمي، ويتناول ما لم يكن صوتا وحرفا، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملا كان أو مستعملا، صادرا من الفم أولا، ثم خص في عرف اللغة بما صدر من الفم، من الصوت المعتمد على المخرج حرفا واحدا أو أكثر، مهملا أو مستعملا".[2] وجاء في لسان العرب : "لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته. يقال أكلت الثمر ولفظت النواة أي رميتها"[3].وفي القاموس المحيط:"لفظ بالكلام نطق كتلفظ".[4]

أما اللفظ في الاصطلاح فهو "ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه، مهملا كان، أو مستعملا "[5] وهو عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثاني على ما صرح به الشريف الجرجاني حيث قال: " إذا وضعوا اللفظ بما يدل على تفخيمه لم يريدوا اللفظ المنطوق، ولكن معنى اللفظ الذي دل به على المعنى الثاني".[6]

3- المعنى:

المعنى لغة: فهو ما يقصد بشيء، ولا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصودا،وأما إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فيسمى معنى بالعرض لا بالذات.[7] ومعنى كل كلام، ومَعْنَاتُهُ ومَعْنِيَّتُهُ، مَقْصِدُهُ[8] فالمفهوم

---

[1] مقاييس اللغة:(لفظ).

[2] – الكليات:معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي أبو البقاء أيوب موسى الحسيني،تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري،،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط:1/1412هـ/1992م،ص:795.

[3] – لسان العرب– ابن منظور– دار صادر بيروت – دط،1374هـ/1955م،(مادة لفظ).

[4] القاموس المحيط، الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، ، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، بيروت لبنان ط:2/1407/1987، (مادة لفظ).

[5] – التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان ،طبعة جديدة/1985م،ص:203

[6] الكليات،ص:795

[7] نفسه،ص:842 .

[8] لسان العرب(مادة عنا).

اللغوي للفظ أنه ما يتلفظ به الإنسان من الكلام، والمعنى أنه المقصود باللفظ، فالقصد شرط في اللفظ والمعنى،إذ لو لم يعت القصد لا يسمى الملفوظ كلاما.

أما المعاني في الاصطلاح فهي الصورة الذهنية إذ وقع بإزائها اللفظ من حيث إنها تقصد منه، وذلك ما يكون بالوضع، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفردا، وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركبا[1]

والمعاني هي "الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما"[2]والمعنى هو "المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة ".[3]

يتضح إذن من خلال هذه التعريفات، أن طبيعة اللفظ والمعنى هو التلازم، فلا وجود للفظ بدون معنى،ولا وجود لمعنى بدون لفظ. فإذا كان المعنى صورة ذهنية فقد وضع بإزائه لفظ هو القصد من تلك الصورة أو هويتها.

وقد أدرك العلماء على نحو جيد قوة الترابط بين اللفظ والمعنى، وأدركوا قيمة المعنى في التعبير، ومكانة الألفاظ حين تنضم إلى بعضها، فالمعنى لا يقوم بغير لفظ، كما لا تقوم الروح بغير جسد، فهما متلازمان تلازم الروح والجسد في الأشخاص يقول العتابي" الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا، أو أخرت منها مقدما،أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، ولتحولت الخلقة وتغيرت الحلية ".[4]

4- علاقة اللفظ بالمعنى عند اليونانيين والهنود:

إن وظيفة اللغة تكاد تنحصر في الدلالة علي معنى أو فكرةٍ تدور في فكر المتكلم وذهنه لكنها ذات قوّة مسيطرة لا يستطيع التحلل منها عضوٌ من أعضاء الجماعة كائناً من كان وعلاقة هذه الرموز الصوتية بالمدلول أو المعنى غير المعروف.

و لو بحثنا في جذور الفكر وبداياته الأولى لوجدنا أن قضية " اللفظ والمعنى " متأصلة في تراث الإنسانية منذ الفكر الهندي والإغريقي، والفكر العربي الإسلامي قديما، مرورا بلاهوت العصور الوسطى وفكر النهضة وصولا إلى القرن العشرين، وهذا دليل على أهمية هذا البحث.

---

[1] – كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي مُحَمَّد علي بن علي الفاروقي التهانوي، دار صادر ، بيروت ،دط ،دت، 1084/3.

[2] – التعريفات ،ص:235-236 .

[3] الكليات،ص:842 .

[4] – كتاب الصناعتين ، أبو الهلال العسكري ،تحقيق: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط:1989/2 م، ص:179.

4-1/ **نظرة الفلاسفة اليونان إلى اللفظ والمعنى:** يرى أفلاطون وأستاذه سقراط والسفسطائيون أن الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها صلة طبيعية ذاتية أي أنها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها المخصصة لها، مع إدراكهم أنّ الصلة قد تنقطع نتيجة لتقادم العهد أو تطور الأصوات وان لم يستطيعوا إثبات هذه الصلة في بعض الألفاظ، لجأوا إلى افتراض « أن الصلة الطبيعة كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلاً أو تفسيراً[1].

يرفض أرسطو أيضا فكرةَ أستاذه – أفلاطون – ويري أن الصلة هي عرفية اصطلاحية يتواضع الناس عليها في مجتمع ما، ويرى سقراط أن بعضَ الألفاظ له صلة طبيعيةُ بالمعني وبعضها الآخر ليس له صلة طبيعية، وإنما اصطلح الناس علي الألفاظ لتدل علي المعاني التي يريدون، وترسخت هذه الألفاظ ومعانيها في الأذهان عن طريق التكرار.

4-2/ **نظرة الهنود إلى اللفظ والمعنى:**

لقد جذب موضوع العلاقة بين اللفظ والمعني اهتمام الهنود، ربما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين، وقد بدأ جمهوُر كبير من فلاسفتهم المناقشة، بان تحدثوا عن ثلاثة أقسام مختلفة في جوهرها؛ هي ما يسمى بالكلمة والإدراك والمحتوى.

ففي حين تعد الكلمة مركَّبة من وحدات صوتية ضمّ بعضها إلى بعض، فانَّ الشيءَ المحسوس (بقرة) مثلاً ينظر إليه باعتباره نوعاً معيناً من الحيوانات له أعضاء معينة أما الإدراك أو التصور فهو الربط بين اللفظ والشيء المدلول عليه وهو يستلزم معرفة سابقة بها.

ولكن إذا كان الدال والمدلول عليه أمرين متباينين وليس هناك علاقة أساسية بينهما، فكيف يكمن اللفظ إن يدلَّ على فكرة معينة أو علي شيء ما؟ لقد اختلفتْ آراءُ الهنود في الإجابة على هذا السؤال، واصطبغ بعضها بصبغة لاهوتية أو فلسفية، ومن هذه الآراء ما يلي:

1- نجد بعضهم يرفُضُ فكرةَ التباين بين اللفظ والمعنى قائلاً؛ إن كلَ شيءٍ يُتصور مقترن بالوحدة الكلامية الخاصة به أو الدالة عليه، ولا يمكن فصل احدها عن الآخر، على هذا فنحن نَعدّ الكلمة عنصراً من العناصر المكونة للشيء تماماً، كما نعدّ الطين السبب المادي أو الرئيس لكل المواد الترابية فكما أن تصور

[1] دلالة الألفاظ: أنيس، إبراهيم ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١،ص62-63

الطين مشترك في كل إدراكات الأشياء التي يعرف أنها مصنوعة من طين، من مثل الإناء، الصحن والقدر ونحوها، فكذلك تصور الوحدة الكلامية[1].

2- نجد بعضاً آخر يصرحون بان العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية، وربما كان أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم الذين يعدون نشأة اللغة علي أساس محاكة الأصوات الموجودة في الطبيعة.

3- أما جماعة أخرى من الفلاسفة اللغويين الهنود، فيقولون بوجود نوع من العلاقة الضرورية وغير المتنوعة بين اللفظ والمعني، شبيه بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان، وهم يشرحون وجهة نظرهم قائلين: لابُدّ من الاعتراف بان كلمة معينة تملك نوعاً من العلاقة مع فكرة معينة مدلول لها بها، وإلا فما السبب في ربطها بها؟ إننا نتصورُ النارَ والدخان لأنهما يتفقان في علاقة السببية والأثر، ولكن ماذا يكمن أن تكون العلاقة الموجودة بين الكلمة والشيء الذي تدل عليه؟

4- أما الطبقة الرابعة منهم فيرونَ أن الصلة بينهما مجردٌ علاقة حادثة مرتجلة، لكن طبقاً لإرادة إلهية، فعلى الرغم مما يَبْدو في آراء هذه المدرسة من مسحة علمية، فإنهم لم يستطيعوا التخلصَ من العامل الميتافيزيقي حين قرروا أن المعنى الأساس للفظ لَمْ يأت عَنْ طريقِ الاصطلاح، وإنما جاء عن طريق الإله.

5- علاقة اللفظ بالمعنى عند علماء العرب القدامى:

تعد علاقة الصوت بالمعنى مؤثراً سمعياً و انطباعياً ذا وقع على الوجدان ؛ لأنَّ الصوت في اللغة العربية له إيحاء خاص ، فهو إن لم يدل دلالة محدودة يدل دلالة اتجاه وإيحاء ، فيثير في النفس نازعاً يُحرِّضها على قبوله أو النفور منه[2].

وأول من أشار إلى هذه العلاقة الخليل بن أحمد (ت:175هـ)–رحمه الله- بقوله«صرَّ الجندب صريراً وصرصر الأخطب صرصرة،فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدَّاً و توهموا في صوت الأخطب ترجيعاً »[3]. ووافقه في هذا سيبويه، وفصلها بالدراسة ابن جني (ت: 392 هـــ) في كتابه الخصائص حيث قال: « اعلم أنَّ هذا موضع شريف لطيف ،وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ،وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته»[4].وقال في موضع آخر:« فأمَّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكِل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيم واسع،

[1] علم الدلالة :عمر، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة،١٩٨٥،ص18-19.

[2] ينظر:البيان في روائع القرآن،تمام حسان،175/1.

[3] العين:56/1.

[4] الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمّد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص154

ونهج مُتْلَئب عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنَّهم كثيرًا ما يَجعلون أصوات الحروف على سَمْت الأحداث المعَبَّر بها عنها، فيعدلونها بها، ويَحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدِّره، وأضعاف ما نستشعره.

من ذلك قولهم :خَضِم وقضِم، فالخَضْم لأكل الرطْب؛ كالبِطِّيخِ والقِثَّاء، وما كان من نحوهما من المأكول الرطب، والقضْمُ للصلب اليابس؛ نحو: قضِمَتِ الدَّابةُ شعيرها، ونحو ذلك.

وفي الخبر" :قد يُدرك الخَضْم بالقَضْم "؛ أي: قد يدرك الرخاء بالشدة، واللِّين بالشَّظَف ، وعليه قول أبي الدَّرْداء: " يَخْضَمون ونقضم، والموعد الله "، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حَذْوًا لمسموع الأصوات على مَحْسوس الأحْداث .ومِن ذلك قولهم :النَّضْح للماء ونحوه ، والنَّضْخ أقوى منه؛ قالوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[1] ، فجعلوا الحاء لرقتها للماءِ الخفيف، والخاءَ لِغَلظها لما هو أقوى منه.

ومن ذلك القدّ طولاً، والقطّ عرضًا؛ لأن الطاء أحصر للصوت، وأسرع قطعًا له من الدَّال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض؛ لقربه وسرعته، والدَّال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قَطْعه طولاً».[2]

وقد سماها بعض الباحثين" المحاكاة الصوتية " وهي تعني الاتجاه بالكلمات إلى أن تحدث أصداء للمعنى عن طريق نطق الصوت الحقيقي لأحرف الكلمة ؛لأنَّ استقلالية أيَّةِ كلمة بحروف معينة يكسبها صوتياً ذائقة سمعية منفردة تختلف عمّا سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه فيجعل كلمة ما دون أخرى – وإن اتحدا في المعنى – لها استقلاليتها الصوتية إمّا في الصدى المؤثر وإمّا في البعد الصوتي الخاص ،وإمّا بتكثيف المعنى بزيادة المبنى ،وإمّا بإقبال العاطفة عليها ،فهي حيناً تصك السمع وحيناً تهيّئ النفس وحيناً تضفي صيغة التأثير فزعا من شيء أو توجهاً لشيء أو طمعاً في شيء وهكذا[3] .

وكثيراً ما تكون دلالة الصوت على معناه بأن يستدعيها الحرف عندما يكون في موضع دلاليّ إيحائي ويستدعيها كذلك وزن الكلمة ، فدلالة السعة والارتياح واضحة في كلمات (السماح، الفلاح، النجاح) من إيحاءٍ صوت الحاء في الكلمة ووزن هذه الكلمة التي يلازمها المد، في حين تحس الآذان دلالة القيد والحبس في كلمات (الحبس، الحجر) من وضع حروف الكلمات ووزنها على صورة تشعر بالمعنى وإن لم يعرف السامع المعنى المعجمي للفظة. فإنَّ موضع الحرف في الكلمة ، أي موضع الحرف في ائتلافه مع الحروف

[1] الرحمن: 66.

[2] ينظر: الخصائص،2/157-158.

[3] ينظر:الصوت اللغوي في القرآن الكريم:محمّد حسين الصغير،164.

الأخرى للكلمة هو الذي يجعل هذا الحرف أو ذاك يوحي بدلالة ما ،لذا نرى أنَّ دلالة هذا الحرف في هذا الموضع تختلف عن دلالة الحرف نفسه في موضع آخر.

والقرآن الكريم تتجلى فيه هذه العلاقة بشكل واضح ،لأنَّه اختار أصوات الكلمات بما يتناسب مع أصدائها واستوحى دلالتها من جنس صياغتها فكانت دالة على ذاتها بذاتها ،فنجده اختار ألفاظاً ملؤها الحنان يستحسنها السمع وتألفها النفس وتقبل عليها العاطفة ،وهذه تتحقق في الترغيب ،واختار ألفاظاً لها وقع في الأسماع يشرئبُّ لها العنق وتتوجس منها النفس وهذه تتحقق في الترهيب.

وإذا أمعنا النظر في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ ﴾[1] فقد رأى العلماء أنَّ "الروح" هو الراحة والاستراحة،وقيل الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم والغم ،و"الريحان" الرزق ،وقيل :المشموم من ريحان الجنَّة فيما أوحته الأصوات التي وردت في"الروح والريحان" التي أعطت إيحاءً واضحاً للمعنى المراد إيصاله ،من بيان ما تنعم به النفس في الجنَّة فصوت الراء اللثوي المجهور المتوسط بين الشدة والرخاوة الذي يتكون من تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق به[2].

و نجد أنَّ صوتي العلة الواو و الياء قد أعطتا للراء صدى طويلاً بالمد الذي يمتازان به بفضل اعتمادهما على صوت الفتحة قبلهما ،فتركب صوت مجموع منهما ونلحظ أنَّ صوت الحاء الحلقي الاحتكاكي المهموس[3]حاكى المعنى المراد لما يوحيه من الراحة وإزالة الغم والألم ،ومجرى الهواء عند النطق به لا ينغلق فينفّس الإنسان عمّا في داخله من هموم وغموم فيشعر بالراحة.

ومن ظريف ما يذكره ابن جني حكاية عن صوت الحاء نستدل بها على دلالته على الراحة وهي: « إنَّ رجلاً من العرب بايع أن يشرب عُلبة لبن و لا يتنحنح فلما شرب بعضه كدّه الأمر ، فقال كبش أملح فقيل له:ما هذا ؟ تنحنحت،فقال مَن تنحنح فلا أفلح»[4].وبهذه المعاني يرغبنا سبحانه وتعالى ويشوقنا لنكون من المقربين الذين تنالهم راحة من كلِّ هم و غم،وينالهم رزق في الجنَّة.

6- العلاقة بين اللفظ والمعنى عند المحدثين :حاولت في هذا المبحث أن أقسمه إلى قسمين اثنين فكان الأول خاص بالمحدثين العرب والثاني خصصته لغير العرب.

---

[1] الواقعة:88-89

[2] الأصوات اللغوية:إبراهيم أنيس،55.

[3] ينظر:سر صناعة الإعراب:191/1.

[4] الخصائص:58/1.

6-1/رأي المحدثين العرب: يقف علماء العرب المحدثين من قضية اللفظ والمعنى موقفين الأول مقر بوجود صلة بين اللفظ والمعنى والثاني منكر لها.

يقول أحمد فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق في ما هو الفارياق: «إن كل حرف يختصّ بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التي قلّ من تَنَبَّهَ لها»[1]. أمّا صبحي الصالح، فلم يود وجود صلة بين الألفاظ ومعانيها فحسب، بل وأعجب بهذا الرأى أيضا،... فيقول: « أما الذي نحن نريد الآن بيانه، فهو ما لاحَظَه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة الموحية».[2]ويرى مُحَمَّد المبارك أن للحرف في اللغة العربية إيحاء خاصاً، فهوان لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدلّ دلالة اتّجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوّاً يهييئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به.

إلا أن هناك منكرون بوجود صلة طبيعية بين اللفظ ومعناه، نسلط الأضواء على آراء بعض منهم.

1- تمام حسان: فانه بعد أن تبنّى نظرية دي سوسير بالنسبة إلى العلاقات اللغوية للتفكير، عقّب عليها بقوله « وليس في الفكر ما يفرض شكلاً معينا للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعاً اعتباطياً»[3]... فالعلاقة بين الكلمات ومعانيها علاقة عرفية محددة بالاستعمال، ومدونة في المعجم.

2-غير أن عبده الراجحي: فانه ينكر وجود مناسبة بين الألفاظ ومعانيها، فيرى أن اقتناع ابن جني بهذا الرأي، وإعجاب الدكتور صبحي الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون علي رفضه،وَيَرون أنه ليس هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله،وليست هناك علاقة بين رمز الشيء والذي يرمز إليه

3-إبراهيم أنيس: فيقول « والأمر الذي لم يبد واضحاً في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها،ولكن هذه الصلة التي تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها وإنما اكتسبتها اكتساباً بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال»[4].

6-2/ رأي المحدثين الغرب :

لقد تفاوتت آراء المحدثين الغربيين في مسالة الربط بين الألفاظ ومعانيها بحيث لم يتفقوا على رأي موحّد في هذه الظاهرة. فمنهم من يرى وجود صلة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها، ومن هؤلاء:

---

[1] الساق على الساق في ما هو الفارياق:أحمد فارس الشدياق،ص2.

[2] دراسات في فقه اللغة: 142

[3] مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، 244

[4] دلالة الألفاظ:إبراهيم أنيس،71

- "همبلت "(ت 1835.م) يرى أن اللغات بوجه عام توثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الآذان يشبه اثر تلك الأشياء في الأذهان. بيد أن "همبلت" حين افتقد تلك الصلة في معظم كلمات اللغة ووجدها غامضة، ادّعى أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها قد أصابها بعضُ التطور واختفت مع توالي الأيام[1].

- وإذا كان "جسبرسن"Jespersen " ممّن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ومعانيها، فانه في الوقت نفسه يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرّد في لغة من اللغات، وأنّ بعض الكلمات تفقد هذه الصلة علي مرّ الأيام، في حين أن كلمات أخرى تكتسبها وتصبح فيها واضحة بعد أن كانت لا تلحظ فيها[2].

ومنهم من ينفي وجود علاقة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها، ومن هؤلاء:

- "مدفيج Madvig "، فقد عارض "مدفيج" رأي همبلت، وأورد كثيراً من كلمات الفصيلة الهندية الأوروبية، تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدلّ بها همبلت، وتخالفها في الأصوات.

- يعد "دي سوسير De Saussure " من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات، إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطّرد، ومع اعترافه بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة ، ويقرر أنها من القلة في اللغات، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الإنسانية، بحيث لا يصحّ أن نتخذ منها أساسا لظاهرة لغوية مطّردة، أو شبيهة بالمطّردة، هي – إذن – في رأيه مجرد ألفاظ قليلة تصادف إن اشتبهت أصواتها ودلالاتها[3].

-"ستيفن أولمان"،الذي نفى وجود علاقة طبيعية أو ذاتية بين اللفظ ومعناه،واستدلّ بقول جوليت على لسان شكسبير: « ماذا في اللفظ ؟إنّ ما نسميه وردة سوف تحتفظ برائحته الزكية فيها لو سميناه باسم آخر».

يظهر مما مضى انه لا يمكن أن نقبل أو نرفض نظرية العلاقة بين اللفظ والمعنى بأسره إذ لا تقنعنا دلالة بعض الأوزان كالأفعال في قول سيبويه أو الأصوات في قول ابن جني كما مّرت. لأنّ الألفاظ اللغة وعباراته جم غفير ولا نستطيع أن نطبق كهذه الظواهر في اللغة العربية ولا في أية لغة أخرى تماماً. وربما حمل العربَ –كما مرّ اعتزازهم بلغتم وفصاحته على هذه الأقوال.

[1] دلالة الألفاظ:68

[2] دلالة الألفاظ:68

[3] ينظر:دلالة الألفاظ:71.

وما نحن في صدده أنه يمكن القول بأن ألفاظ اللغة يمكن أن يكون لبعضهم علاقة بالمعاني ويندرج في هذا الباب – في رأيي – ما سماه ابن اجني تلاقي المعاني علي اختلاف الأصول والمباني، الاشتقاق الأكبر و.... ويمكن أن لا يكون لبعضهم الآخر أية علاقة بين الألفاظ والمعاني.

المحاضرة الخامسة:

النبر في اللغة العربية

لا يمكن الحديث عن النبر دون الحديث عن المقطع .بل إن طبيعة المقطع هي التي تحدد مكان النبر في الكلمة.فالمقطع والنبر متلازمان في الدرس الصوتي؛ ذلك أن المقطع حامل النبر، والنبر أمارة من أمارات تعرُّف المقطع، ومن هنا كان الكلام عليهما معًا بإلقاء شيء من الضوء على خواصِّهما، ووظيفتهما في البناء الصوتي للغة العربية،مبتدئا بالمقطع ومنتهيا بالنبر.

1/مفهوم المقطع في اللغة والاصطلاح:

1-1/ **لغة:** من اللافت للنظر أنه ليس هناك حتى الآن تعريفٌ واحدٌ متفَقٌ عليه، ومع ذلك يمكن القول بشيء من التجوّز: إن المقطع الصوتي من حيث بنائه المثالي أو النموذجي أكبر من الوحدة الصوتية أو أكبر من الصوت، وأصغر من الكلمة، وإن كانت هناك كلمات تتكوّن من مقطع صوتي واحد، كقولنا: "مِن" أو "مَن"، والكلمة التي تتكون من مقطع صوتي واحد تسمى " أحادية المقطع"، في حين التي تتشكل من أكثر من مقطع يُطلق عليها " متعددة المقاطع الصوتية "، ويمكن للمثقف اللغوي أن يدرك المقطع ويتعرَّف حدوده في النطق.

وكلمة " المقطع " لغة من القطع وهو" إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض ،يقال: قطعه قطعا ،وقطعته واقتطعه والقطع ، وتقطع بتشديد الطاء للكثرة .فالمقطع: مفعل ،اسم مكان ، وتقطع كل شيء ومنقطعه: آخره حيث ينقطع ،كمقاطع الرمال والأودية ،والمقطع: الموضع الذي يقطع فيه النهر من المعابر. ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف ومبادئه: مواضع الابتداء.ومقطعات الشيء: طرائقه التي يتحلل إليها ويتركب عنها ،كمقطعات الكلام ومقطعات الشعر ،و مقاطيعه: ما تحلل غليه وتركب عنه من أجزائه التي يسميها عروضيو العرب الأسباب والأوتاد"[1].

والحقيقة أن الدكتور عباس حسن قد حلل لغة مادة (قطع) إلى حروف ومقاطع رأينا أن نذكره لما في من فائدة تخدم المقطع الصوتي ، وفي هذا الصدد يقول: " في حروفها (القاف) للقوة والمقاومة والانفجار الصوتي ، و(الطاء): للمطاوعة والطراوة والفلطحة ،و(العين) للعناية والوضوح والفعالية والحرف الأصل هو (القاف) وهكذا يبدأ حادث القطع بحسب أصوات حروفها ،بصدمة قوية تحدث صوتا انفجاريا (للقاف)ثم

[1] لسان العرب:ابن منظور: مادة (قطع).

يطري موضع الصدمة ويلين (للطاء) مما يؤدي إلى فصل بعض منه بوضوح وعناية (للعين).وذلك سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد"[1].

ومن هذا الحديث نفهم أن تحديد علماء الأصوات مصطلح المقطع (syllable) ،بالوحدة الصوتية التي عندها ينقطع الصوت ،يكون صحيحا لما فيه من وضوح الانفجار الصوتي ،فالمقطع بهذا يتناسب مع طبيعة أصوات حروفه ،وذلك لظهور الصدمة والانفجار الصوتي.

1-2/ **اصطلاحا:** للمقطع تعريفات وتصورات مختلفة تبعا لوجهات النظر المتعددة إليه ،فالبعض ينظر إليه على أنه "وحدة حركية يكون التحرك الأساسي الأكبر فيها هو النبضة النفسية ،أو دفعة الجهاز العضلي الصدري التي تصنع ضغطة الهواء في الرئتين ،فيخرج إلى حيث ينظم ،أو يوقف عن طريق تحركات أعضاء النطق"[2].

ويعرف المقطع بأنه كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها[3]. كما هو قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطعيا ذا حجم أعظم ويحاط بقطاعين أضعف أوكستيكيا[4].

واعتبره الدكتور عصام نور الدين نوعا بسيطا من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية ،وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم ، ويأتي بعده من حيث البعد الزمني في النطق ،والبعد المكاني في الكتابة.ويتكون من نواة مقطعية تكون عادة مؤلفة من صائت مصحوب بصامت واحد أو أكثر ،أو غير مصحوب[5].

والمقطع تتابع صوتي في لغة ما ، إلا أن هناك من يراه تأليف أصواتي تتكون فيه وحدات اللغة ويتفق مع إيقاع النفس في الكلمة ، كما يعد الكتلة الصغرى في بناء الكلمة.وفي هذا يقول الدكتور رضوان القضماني منوها بأن "المقطع أصغر وحدة كلامية منظومة لا تحمل معنى بذاتها ؛لكنها تجسد السمات النظمية الصوتية في الكلام وتحمل نبر الكلمة.ويتألف من اجتماع صامت وصائت ضمن ترتيب معين يحدد طبيعة المقطع ونوعه"[6].والمقطع:هو تركيب صوتي متماسك يتكون من صامت وحركة قصيرة أو طويلة ،أو من صامتين بينهما حركة ،ولا يمكن تفكيكه أو عزل أصواته عن بعضها إلا بوسيط صوتي (زيادة أو حذف) يسمح بانتقال صوت إلى مقطع آخر شرط الإتحاد بحركة.

---

[1] خصائص الحروف العربية ومعانيها: عباس حسن ،منشورات اتحاد كتاب العرب ،سوريا ،1998م ،ص:241.

[2] علم الصوتيات:278.

[3] التطور اللغوي مظاهره وعلله: رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1404هـ/1983م ،ص:62

[4] دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر ،ص:241.

[5] علم الأصوات اللغوية –الفونيتيكا :د.عصام نور الدين ،دار الفكر اللبنانب ،ط1/1992 ،ص:189-190.

[6] مدخل إلى اللسانيات: د.رضوان القضماني ،منشورات جامعة البعث ،مديرية الكتب والمطبوعات ،1988-1989م ،ص:97.

هذه مجموعة من التعاريف الخاصة بالمقطع والتي حاولت أن أوظفها في هذه المحاضرة على الرغم من وجود تعاريف كثيرة للمقطع مما صعب علينا مهمة الاختيار ولمن أراد الاطلاع فالكتب الصوتية واللسانية تخدم هذا الموضوع.

2/ الخواص العامة للمقطع في اللغة العربية:

إذا انتقلنا إلى وصف البناء المقطعي في اللغة العربية، فإن ما يقرر هنا ينطبق بتمامه على أداء الناطقين بالعربية في جميع البيئات العربية. أما اللهجات العامة فمهما كانت درجات قربها أو بعدها من العربية الفصيحة فلها نظامها أو نظمها الصوتية الخاصة بها.

والسبيل في تقديم الترتيب المقطعي للعربية يعتمد على المنهج الفُنُولُوجي، الذي يعتمد على النظر في تتابعات الوحدات الصوتية، وكيفيات تكوينها على شكل حِزَم مميزةٍ في سلسلة الكلام، وهذا لا يعنى إهمال الجانب الصوتي إذ العود إليه قد يصبح ضرورةً لتحديد أبعاد هذه الحِزَم على وجهٍ صحيحٍ.

وقد تبين بالدرس والنظر الدقيق أن المقطع الصوتي في العربية ينماز وفقًا لما يراه الدكتور كمال بشر بمجموعة من الخواص العامة، أهمها ما يأتي[1]:

-1- المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتين أو أكثر إحداهما حركة، فلا وجود لمقطع من صوتٍ واحدٍ، ولا وجود لمقطع خال من الحركة.

-2-المقطع الصوتي لا يبدأ بصوتين صامتين، ولا بحركة ،وإن لوحظ وقوع الصورة الأولى في بعض اللهجات العامية الحديثة كما في لهجة عالية" بلبنان في مثل "سْتْعَدْ".

-3-لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين إلا في سياقات معينة -أي عند الوقف أو إهمال الإعراب.

-4- غاية تشكيل المقطع أو تكوينه أربع وحدات صوتية بحسبان الحركة الطويلة وحدةً واحدةً .

3/صور المقطع في العربية:

يمكن القول بأن للمقطع صورا عديدة ،تأتي من الإمكانات المتاحة لاجتماع الأصوات المقطعية أو الحركات مع الأصوات غير المقطعية ،أو الصوامت في نظام كل لغة،وقد يمكن الوصول إلى هذه الصورة واستقرائها وحصرها للإفادة منها في الدراسات الصوتية والصرفية والمعجمية،والنحوية والعروضية وغيرها

وقد هدانا البحث والدراسة إلى أن لغتنا العربية يشتمل نظامها المقطعي على الصور المبينة في الجدول الآتي:

[1] علم الأصوات:كمال بشر:509-510.

الرقم	مكونات المقطع	رمز المقطع	المثال
1	صوت صامت + حركة قصيرة	ص+ح	كَ
2	صوت صامت + حركة طويلة	ص+حَ	كَا
3	صوت صامت + حركة قصيرة+ صوت صامت	ص+ح+ص	قُلْ
4	صوت صامت + حركة طويلة+ صوت صامت	ص+حَ +ص	قَالْ
5	صوت صامت + حركة قصيرة+صوتان صامتان	ص+ح +ص ص	بَحْرْ
6	صوت صامت + حركة طويلة+صوتان صامتان	ص+حَ +ص ص	ضَالّْ

4/أنواع المقاطع في اللغة العربية:

يمكن الوصول من خلال تحديد الخواص المميزة للمقطع الصوتي إلى تعيين ستة أنماط للمقطع الصوتي في اللغة العربية وفقًا لما يراه الدكتور كمال بشر، فقد صنَّف هذه الأنماط إلى ثلاث طوائف، هي: القصيرة، والمتوسطة، والطويلة[1].

المقطع القصير: يتكون من صوت صامت وحركة قصيرة، ويرمز إليها برمز "ص" و"ح" في العربية، فالصاد مختصر صامت، والحاء رمز للحركة، ومثاله ثلاثة المقاطع في كلمة "كَ/تَ/بَ" فكل مقطع من هذه المقاطع الثلاثة يعد مقطعًا قصيرًا: الكاف صامت ثم الفتحة حركة، والتاء صامت ثم الفتحة حركة، والباء صامت ثم الفتحة حركة.

المقطع المتوسط: فهو ذو نمطين :

الأول منهما يسمى المقطع المتوسط المقفل وهو الذي يتكون من: صامت + حركة قصيرة + صامت، أي: "ص ح ص" ومثاله المقطع الأول في "يَكْ/تُبْ" أو الثاني أيضًا.

النمط الثاني يسمى بالمقطع المتوسط المفتوح ويتكون من: صوت صامت، ثم حركة طويلة، ويرمز له بـ"ص و"ح¯" ، ومثاله المقطع الأول في كلمة" كَا/تِبٌ" "كَا" الكاف صامت، ثم الألف وهي ترمز للحركة الطويلة أو "ح¯ "، كذلك منه المقطع الأول في كل اسم فاعل من الفعل الثلاثي كـ"كَاتِب" و"عَامِل" و"ذَاهِب"... وغيره .

المقطع الطويل: ويتكون من ثلاثة أنماط :

[1] ينظر:علم الأصوات:كمال بشر:510-511.الأصوات اللغوية :إبراهيم أنيس:ص92.

الأول من هذه الأنماط يسمى بالمقطع الطويل المقفل بصامت، ويتكون من: صوت صامت، ثم حركة طويلة، ثم صوت صامت، ويرمز له بـ"**ص ح¯ ص**" ومثاله المقطع الأول في كلمة "ضَالّين" وهذا المقطع مشروط وقوعُه بواحدٍ من اثنين: أن يكون الصوت الصامت الأخير مدغمًا في مثله كما في "ضَالّين"، أو في حال الوقف أو عدم الإعراب كالواو في "يَقُو" "يَقُول" في حال الوقف.

الثاني يسمى بالمقطع الطويل المقفل بصامتين ويتكون من : صامت، وحركة، وصامت وصامت، أي يبدأ بصامت، ثم حركة قصيرة، ثم صامتان، ويرمز له بـ "**ص ح ص ص**"، ، ومثاله "بَرٌّ" بفتح الباء، أو كسرها "بِرٌّ"، "بَرّ" أو "بِرّ" بالوقف أو "بُرّ"، وهذا المقطع مشروط وقوعُه بالوقف أو عدم الإعراب، يعنى لا يقال: بَرٌّ أو بِرٌّ أو بُرٌّ، وإنما يقال: "بَرّ" "بِرّ" "بُرّ ."

الثالث يسمى بالمقطع المديد و يتكون من: صوت صامت، ثم حركة طويلة، ثم صامتان "**ص ح¯ ص ص**"، ومثاله المقطع الثاني في نحو كلمة "مَهَامّ" وهذا المقطع مشروط وقوعُه أيضًا بالوقف وعدم الإعراب .

5/ النبر(Accent) في اللغة والاصطلاح:

5-1/النبر لغة:

المتأمل في موروثنا اللّغوي يجد أن مصطلح النبر تردّد في ثنايا كتبه لكن بمعنى الهمز ، أي تحقيق الهمزة في الكلام. «والهمز مثل الغمز والضغط ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط وقد همزت الحرف فانهمز»[1] ،يتضح من هذه المقولة أن الهمز لا يقع على صوت بعينه وإنما يقع في الكلام؛إذ كل الأصوات مؤهلة لتحقيق الهمز عليها.

و«النبر في النطق إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق»[2]،وذكر ابن منظور أن :«النَّبْرُ بالكلامِ الهَمْز قال وكلُّ شيء رفع شيئاً فقد نَبَرَه والنبْرُ مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً هَمَزَه وفي الحديث قال رجل للنبي ﷺ يا نَبِيءَ الله فقال لا تَنْبِر باسمي أَي لا تَهْمِزْ وفي رواية فقال إِنَّا معْشَرَ قريش لا نَنْبِرُ والنبْرُ هَمْزُ الحرْفِ ولم تكن قريش تَهْمِزُ في كلامها....ورجل نَبَّارٌ فصيحُ الكلامِ ونَبَّارٌ بالكلام فصيح بَلِيغٌ وقال اللحياني رجل نبار صَيَّاحٌ ابن الأَنباري النبْر عند العرب ارتفاع الصوت يقال نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً إِذا تكلم بكلمة فيها عُلُوٌّ ... والمِنْبَرُ مَرْقاةُ الخاطب سمي مِنْبَراً لارتفاعه وعُلُوِّه»[3].والنبر بهذا المفهوم هو الهمز،وما يمكن أن نستشفه من خلال هذه التعاريف أن النبر والهمز معناهما واحد ألا وهو الضغط.

---

[1] لسان العرب: (همز).

[2] المعجم الوسيط: (نبر)

[3] اللسان:تاج العروس: (نبر).

2-5/النبر اصطلاحا:

لعلماء اللغة تعريفات عديدة للنبر ، تتفق جميعها على أنه الضغط على مقطع معين يكسبه الوضوح السمعي عن المقاطع الأخرى ، وهذه بعض التعريفات:

. إعطاء مزيد من الضغط أو العلو لمقطع من بين مقاطع متتالية[1].

- بذل طاقة معينة عند أداء الصوت أو المقطع من طرف أعضاء النطق[2].

. النبر عبارة عن وضوح نسبي يتميز به صوت أو مقطع من بقية الأصوات أو المقاطع الأخرى التي تجاوره في البنية التركيبية، ويسخر المتكلم لتحقيق هذه الحالة جهداً عضلياً أعظم[3].

. و الكلمات –كما يقول الدكتور تمام حسان – التي نتكلمها من أصوات متتابعة ينزلق كل تتابع منها من سابقة , و ليست هذه الأصوات بنفس القوة , و إنما تتفاوت قوة و ضعفاً بحسب الموقع , و كون صوت من الأصوات قي الكلمة أقوى من بقيتها يسمى النبر [4].

فالضغط الذي يصاحب عملية النّبر، عامل مساعد من بين مجموعة عوامل أخرى، لكنّه يبقى الأقرب، لأن النّبر في حدّ ذاته يُعرف بدرجة الضّغط على الصّوت أكثر ممّا يعرف بأي شيء آخر أو لأنّ الضّغط في صورتيه: صورة الضّغط وصورة النّغمة يتّسع مجال تطبيقه على النّبر أكثر ممّا يتّسع مجال العوامل الأخرى. و النّبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصّرفي لا من وظيفة المثال ، فنحن إذا تأمّلنا كلمة (فاعل) نجد أنّ الفاء أوضح أصواتها لوقوع النّبر عليها وباعتبار هذه الصّيغة ميزاناً صرفياً نجد أنّ كلّ ما جاء على مثاله يقع عليه النّبر بنفسه الطّريقة مثل : (قاتل ، جالس) [5]. وهناك نبرٌ آخر يتعلّق بالسّياق «هذا النّبر الذي في السّياق إنّما يكون من وظيفة المعنى العام، أي أنّه نبر دلالي. ومعنى هذا أنّ في اللغة العربية نوعين من موقعية النّبر في التّشكيل الصّوتي»[6].

---

[1] أسس علم اللغة: ماريو باي ،ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب بالقاهرة الطبعة الثانية 1983 ص93

[2] ينظر: علم اللغة العام ، الأصوات:الدكتور كمال محمّد بشر ، القاهرة 1970 ص210

[3] مناهج البحث في اللغة :تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 م ، ص 186

[4] نفسه:160.

[5] ينظر:مناهج البحث في اللغة:160.

[6] نفسه:186.

6/أنواع النبر:

للنبر ثلاثة أنواع[1] تتمثل في نبر الكلمة،ونبر الجملة ،والنبر التقابلي ،وسأتعرض لهذه الأنواع بشيء من التفصيل:

6-1/ نبر الكلمة:وهي النبرة الرئيسية التي تأخذها الكلمة إذا قيلت منفردة ،أي مسبوقة بسكون ،وتخضع النبرة في الكلمات العربية لقوانين معينة أهمها ما يلي[2]:

1- إذا كانت الكلمة ذات مقطع واحد ،تأخذ نواة المقطع نبرة رئيسية مثل:عَنْ ،ومَنْ ،ولَنْ...

2- إذا كانت الكلمة ذات مقطعين قصيرين أو ثلاثة تكون النبرة الرئيسية على المقطع الأول نحو:دَرَسَ ،جَلَسَ ،وتأخذ المقاطع الأخرى نبرات ضعيفة.

3- إذا كانت الكلمة ذات مقطعين أو ثلاثة مقاطع طويلة ،تكون النبرة الرئيسية على المقطع الأخير ،وتأخذ بقية المقاطع نبرات ثانوية نحو:طَاوُوسْ ،نَاسُونْ ،نَاجِينْ ،بَاقُونْ...

4- إذا كانت الكلمة ذات مقطعين أو ثلاثة متنوعة (أي قصيرة أو طويلة) فآخر مقطع طويل يأخذ النبرة الرئيسية وبقية المقاطع تأخذ نبرة ثانوية ،إذا كانت طويلة ،ونبرة ضعيفة إذا كانت قصيرة نحو:(كَاتِبٌ ،كِتَابٌ ،نَائِمٌ ،صَائِمٌ ،صِيَامٌ ، صَائِمُونْ).

5- إذا كانت الكلمة ذات أربع مقاطع ،فإن المقطع الثاني يأخذ نبرة رئيسية نحو:(مَدْرَسَةٌ ،طَاوِلَةٌ...) ويستثنى من ذلك أن يكون المقطع الثالث أو الرابع طويلا فيأخذ هذا المقطع النبرة الرئيسية نحو:(بِنَايَاتْ).

6- إذا كانت الكلمة ذات خمسة مقاطع ،فتقع النبرة الرئيسية على المقطع الثالث نحو: (مُتَقَدِّمٌ ،مُتَعَلِّمٌ ،...) ويستثنى من ذلك أن يكون المقطع الرابع أو الخامس طويلا فيأخذ النبرة الرئيسية نحو: (مَدْرَسَتُنَا ،كِتَابَتُنَا ،مُعَلِّمُنَا).

7- إذا كانت الكلمة ذات ستة مقاطع أو أكثر فإن آخر مقطع طويل يأخذ النبرة الرئيسية نحو: (اِسْتِقْبَالَاتُهُنْ).

---

[1] الأصوات اللغوية:محمد علي الخولي،دار الفلاح للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،1990،ص166-167.

[2] الأصوات اللغوية:محمد علي الخولي:165.

6-2/نبر الجملة: ومعنى نبر الجملة هو توزيع درجات النبر على أجزاء الجملة تبعا لأهميتها عند المتكلم و لطبيعة الجملة ونوعها،بحيث يكون لكل جملة قالبها النبري الخاص بها،وهذا القالب يختلف من لغة إلى أخرى [1].

وفي هذه الحالة تتنازل الكلمات عن نبراتها الرئيسية التي كانت تأخذها وهي منفردة لصالح الجملة فتأخذ الجملة كلها نبرة رئيسية واحدة إذا قيلت كوحدة صوتية واحدة نحو: (ذهب أحمد إلى المدرسة) في هذه الحالة تكون الكلمة الأخيرة هي موضع النبرة الرئيسية.

6-3/ النبر التقابلي: وذلك نحو(كسر هاني نافذة الغرفة) فيمكن إعطاء النبرة الرئيسية للكلمة الأولى لتوكيد فعل الكسر أو لنفي فعل آخر غيره ،وإن كان النبر للفاعل فيعني توكيد الذي كسر ،وإن كان النبر على النافذة فيكون توكيد على أن النافذة هي المكسورة ،وإن كان النبر على (أمس) فهذا يعني توكيد الزمان.

وبعد هذه الجولة في ثنايا أنواع النبر وتركيزها الكبير على نبر الكلمة ؛ذلك لأن لديه قواعد محددة وإن اختلفت في الصيغ في حين أننا نجد نبر الجملة أو النبر التقابلي يخلو من قواعد محددة وإن اجتهد بعضهم في هذا الصدد[2].وفي هذا الصدد أشار الأصواتيون المحدثون إلى درجات النبر استنادا إلى مبدأ الوضوح والبروز والارتكاز وميزوا بين هذه الأنواع بعلامات وضعوها فوق نواة المقطع المنبور وهي:

النبر الرئيسي يرمز له بعلامة: (^) فوق المقطع المنبور

النبر الوسيط يرمز له بعلامة: (.) فوق المقطع المنبور

النبر الضعيف يرمز له بعلامة: (w) فوق المقطع المنبور

وقد بنوا ذلك على أساس : زيادة شدة الصوت ، وارتفاع نغمته الإسماعية ، وامتداد مدته الإنتاجية[3] .

لقد ذكر الدكتور نور الدين عصام ثلاث درجات للنبر في اللغة العربية[4]:

1/ النبر القوي نحو درس،حيث ينطق المقطع (دَ) بارتكاز أكبر من الفونيمين اللذين يشكلان معه كلمة "درس"،ومن ذلك "دارس" حيث يتمتع المقطع "دَا"بارتكاز أكبر.

2/ النبر الوسيط:يظهر في المقطع "مُسْ" من كلمة " مستحيل" .

3/ النبر الضعيف: يظهر في المقطع "سَ" من كلمة دَرَسَ".

---

[1] علم الصوتيات:د/عبد العزيز أحمد علام و د/عبد الله ربيع محمود ،مكتبة الرشد ،السعودية ،1430هـ/2009م ،ص 333.

[2] ينظر:مناهج البحث في اللغة:تمام حسان،173- الأصوات اللغوية :إبراهيم أنيس:175،وغيرهم.

[3] علم اللسانيات الحديثة – نظم التحكم وقواعد البيانات - :د/ عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1/1422هـ-2002م ،ص371.

[4] علم وظائف الأصوات اللغوية –الفونولوجيا -:نور الدين عصام ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،ط1/ 1992م،ص110-111.

7/مواضع النبر في العربية:

للنبر في العربية أربعة مواضع أشهرها وأكثرها شيوعا المقطع الذي قبل الأخير.ولمعرفة موضع النبر في الكلمة العربية،ينظر أولا إلى المقطع الأخير ،فإذا كان من النوعين الرابع والخامس،كان هو موضع النبر ،وإلا ننظر إلى المقطع الذي قبل الأخير،فإن كان من النوع الثاني أو الثالث حكمنا بأنه موضع النبر.أما إذا كان من النوع الأول ننظر إلى ما قبله ،فإن كان مثله أي من النوع الأول أيضا ،كان على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة.ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا في حالة واحدة،وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول. ويمكن أن نلخص تلك المواضع كما يلي[1]:

1-يكون النبر على المقطع الأخير:

- إذا كان المقطع الأخير من النوعين (ص ح ¯ ص) أو (ص ح ص ص) فإن النبر يكون على المقطع الأخير ، فمثلا كلمة (نَسْتَعِينْ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح ¯ ص) فإن النبر يكون على المقطع الأخير و هو (عِينْ) ، و كلمة (المسْتَقَرّْ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص ص) فإن النبر يكون على المقطع الأخير و هو (قَرّْ).

-2 يكون النبر على المقطع الذي قبل الأخير:

-إذا لم يكن المقطع الأخير من النوعيين (ص ح ¯ ص) أو (ص ح ص ص) و لم تتوال في الكلمة ثلاثة مقاطع من نوع واحد قصير مفتوح (ص ح) ، فمثلا كلمة (أُنْصُرْ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص/ص ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الذي قبل الأخير و هو(أُنْ)، وكلمة (أَخَاكَ)تحتوي المقاطع التالية (ص ح/ ص ح ¯ /ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي قبل الأخير وهو(خَا).

3- يكون النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير:

-إذا كان المقطع ما قبل الأخير من النوع قصير مفتوح (ص ح) و سبق بنظير له من النوع قصير مفتوح (ص ح) ،فمثلا كلمة (اِزْدَهَرَ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (دَ) ، و كلمة (اِنْكَسَرَ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (ك).

[1] ينظر: الأصوات اللغوية:100-101

-إذا كان المقطع الأخير من النوع (ص ح ص) و الذي قبل الأخير من النوع (ص ح) ، فمثلا كلمة (رَكَّبَكْ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (رَكْ).

-إذا كان المقطع الأخير من النوع (ص حَ) متوسط مفتوح و الذي قبله قصير مفتوح (ص ح) ، فمثلا كلمة (بَكَّرُوا) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص حَ) فإن النبر يكون على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (بَكْ).

4- يكون النبر على المقطع الأول:

-إذا توالت في كلمة ما ثلاث مقاطع متماثلة من النوع القصير المفتوح (ص ح) فمثلا المقطع لكلمة (كَتَبَ) تكون كالتالي (ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على الحرف الأول و هو (كَ).

-إذا كانت الكلمة تشتمل على أكثر من ثلاثة مقاطع ،و كان الأخير متوسطا والرابع من الآخر قصيرا وبينهما قصيران ، فمثلا المقطع لكلمة (ثَمَرَةٌ) تكون كالتالي (ص ح / ص ح / ص ح/ص ح ص) فإن النبر يكون على الحرف الأول و هو (ثَ).ومن أمثلة هذا النوع أيضا:(بَقَرَةٌ،عِجْلَةٌ،وَرَثَةٌ،كَلِمَةٌ ،يَرِثُنَى،يَعِدُهُمْ ،وَسِعَهُ ،ضَرَبَهَا ،نَكِرَهُمْ).

ويغلب في المقطع الأخير في هذه الحالة أن يكون تنوينا أو إضمارا أو إشباعا.

-إذا كانت الكلمة مقطعا واحدا (أحادية المقاطع) كالكلمة التالية في حالة الوقف، فمثلا كلمة (نَارْ) فإنها تتكون من (ص حَ ص) فالنبر يكون على الحرف الأول وهو (نَ).

8/ العوامل التي تؤثر على مواقع النبر:

المتأمل للأصوات العربية يلاحظ أن النبر ينتقل من مقطع إلى آخر في الكلمات العربية ، و يرجع ذلك إلى الأسباب التالية[1]:

8-1/ الاشتقاق:

فمثلا الفعل الماضي (نَفَرَ) يحتوي على المقاطع التالية (ص ح / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على الحرف الأول (نَ) و ذلك لتولي ثلاث مقاطع من نوع واحد ، أما المضارع منه (يَنْفِرُ) تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح/ ص ح) فإن النبر يكون على المقطع الذي قبل الأخير و هو (فِ).

[1] ينظر :الأصوات اللغوية:إبراهيم أنيس،ص104-105.

8-2/ إسناد الفعل إلى الضمائر:

عند إسناد الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع المتحركة ينتقل النبر من مكانه الذي كان فيه قبل الإسناد ، فمثلا عند إسناد الفعل (دَرَسَ) و التي تحتوي على المقاطع التالية (ص ح / ص ح / ص ح) هنا يكون النبر على المقطع الأول وهو الحرف (دَ) إلى ضمير المتكلمين (دَرَسْنَا) تصبح المقاطع هي (ص ح / ص ح ص / ص حَ) النبر يكون على المقطع ما قبل الأخير و هو (رَسْ).

و عند إسناد الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع الساكنة كألف الاثنين و واو الجماعة لا يغير من موضع النبر

8-3/ جزم المضارع:

يتغير موضع النبر حسب رفع الفعل أو جزمه فمثلا الفعل (يَلْعَبُ) يحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح / ص ح) فإن النبر يكون على المقطع ما قبل الأخير و هو (ع) أما في حالة الجزم فنقول : (لَمْ يَلْعَبْ) فإنها تحتوي على المقاطع التالية (ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص) فإن النبر يكون على المقطع الأول و هو (يَلْ) و ذلك لتوالي ثلاثة مقاطع من نوع واحد.

المحاضرة السادسة:

الأبنية والأوزان في العربية

1مفهوم الأبنية:

الأبنية جمع بِنْية أو بُنْية، من البني:نقيض الهدم "[1] والبني مصدر وفعله بنى ومنه«بنى البناء بناء، يبني بنيا... وبنًى مقصور، والبنية الكعبة»"[2]، وبنى بنيانًا وبنْية وبناية... والبناء واحد الأبنية "[3]

ومن هنا يكون معنى البناء والتركيب والصياغة.أما الأبنية في علم الصرف فهي صيغ الكلمات التي تنشأ عن التصريف الذي أشار إليه ابن عصفور"[4] في قوله «هو جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني»، وهي حروف الكلمة وحركاتها وسكناتها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كلٌ في موضعه»[5]".اهتمام علماء اللغة بالأبنية الصرفية:اهتم علماء اللغة بالأبنية الصرفية، فقسموها إلى أبنية أسماء وأبنية أفعال،وفرقوا- من خلال هذين القسمين من الأبنية- بين الأحرف الأصول والأحرف الزوائد في كل بنية صرفية.وقد صنف هؤلاء العلماء- منذ البدايات الأولى لنشأة الدراسية اللغوية- أبنية الأسماء حسب أحرفها الأصول إلى ثلاثية ورباعية وخماسية،وأبنية الأفعال إلى ثلاثية ورباعية، ونجد هذا التصنيف عند الخليل ، وسيبويه ، وأبي عثمان المازني ، وابن السراج ، وعبد القاهر الجرجاني ، وابن القطاع ،والميداني ،فمن الأسماء فنحو: فلس ودرهم،و سفرجل ومن الأفعال فنحو: كتب ودحرج

وقد خالف الكوفيون البصريين فيما زاد على ثلاثة أحرف أصول في الأسماء، فاعتبروا ما كان على أربعة أصول ثلاثيا مزيدا بحرف وما كان على خمسة أصول ثلاثيا مزيدا بحرفين، وقد بينوا ذلك في قولهم: «إن كل اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه الزيادة، فإن كان على أربعة أحرف نحو: جعفر ففيه زيادة حرف واحد»[6].

أما أبنية المصادر فقد صنفها العلماء حسب أبنية الأفعال، وتنقسم إلى مصادر الأفعال الثلاثية المجردة، ومصادر الأفعال الثلاثية المزيدة، ومصادر الأفعال الرباعية المجردة والمزيدة "[7].

---

[1] لسان اللسان110/1،

[2] ينظر: العين 379/8

[3] لسان اللسان 110/1، 111

[4] معجم المصطلحات النحوية :نجيب اللبدي ص27.

[5] قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ص98

[6] ينظر: الإنصاف لابن الأنباري 793/2.

[7] الكتاب 5/4، 85 والأصول في النحو 185/3

أما ما كان فعله ثلاثيا مجردا فنحو خرج خروجا و كتب كتابة.وأما ما كان فعله ثلاثيا مزيدا فنحو أقبل إقبالا وقبله تقبيلا، وقابله مقابلة وتقبل تقبلا واستقبله استقبالا.وما كان فعله رباعيا مجردا فنحو: بعثر بعثرة، وما كان رباعيا مزيدا فنحو: تدحرج تدحرجا، واطمأنّ اطمئنانا.

2/مفهوم الأوزان:

الأوزان جمع ميزان واحدها ميزان ، وهي المثاقيل واحدها مثقال ، ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضا ، قال الجوهري : أصله موزان ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، وجمعه موازين ، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه موازين. قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[1]، ويقول أيـــضا: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[2]، وكانت العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المسواة من الحجارة والحديد الموازين[3].

أما الأوزان في علم الصرف فهي عبارة عن قوالب تصاغ فيها وعلى هيئتها وقياسها المادة اللغوية مثلما تصاغ المادة الصناعية في قوالب الآلة التي تنتج في المعامل مصنوعات معيَّنة. وهذه القوالب مصنوعة هي نفسها من ثلاثة حروف هي الفاء والعين واللام (ف.ع.ل). يضاف إليها في بعض الأوزان حرف من حروف العلة الثلاثة : الألف – الواو – الياء. وفي بعضها الآخر حروف الصحة كالسين والتاء والنون. في مثل "استشاروا" و"يستشيرون" والأوزان عبارة عن "تفاعيل" من أمثال : "فَعَلَ" و"فَعَّلَ" و"فِعْل" و"فاعل" و"مفعول" الخ... ويقدر اللغويون أن في اللغة العربية ما ينيف على ألف من هذه التفاعيل أو الأوزان.

3/عدد الصيغ والأوزان في العربية:

رأى علماء اللغة العربية بأنه يمكن تصنيف ألفاظ العربية إلى زمر وأنواع حسب أوزانها ،ولا يشذ على هذه القاعدة من الألفاظ إلا الحروف والظروف الجامدة ،ولذلك لم تذكر لها صيغ وأوزان حين ذكرت للأفعال والأسماء التي حصرت فيها.

---

[1] الأنبياء:47.

[2] الأعراف:8-9

[3] ينظر:لسان العرب:مادة(و ز ن)

وأخذ النحاة واللغويون العرب منذ بدء تدوين اللغة بإحصاء الأبنية في العربية فعد "سيبويه" 308 مثالا عدا أوزان الأفعال ومازال البحث عنها يزيد حتى بلغ بها ابن"القطاع" في كتابه الأبنية 1210 من أنواع الأبنية ،وقد نقل عنه السيوطي في "المزهر" كما نقل عن غيره في القسم الذي خصصه للأبنية[1] .

والمتأمل لمؤلف السيوطي رحمه الله يرى أن الأبنية الذي أحصاها يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

– الأول: الأبنية الكثيرة الاستعمال كأبنية الأفعال المعروفة وتصاريفها والمشتقات السبعة والجموع القياسية السالمة منها وغير السالمة وهذه الأبنية مطردة قياسية ويمكن أن نقول عنها صيغ "حية".

– القسم الثاني :الأبنية القليلة الاستعمال وهي التي ورد عن وزنها عدد من الألفاظ يمكن عده وإحصاؤه ولكنها وقفت عند هذا الحد المنقول عن العرب دون زيادة فيها وذلك مثل: (فَعالية:رفاهية، علانية، سواسية...)، و(فِعّيل:سكّير، صدّيق، غريد، شرير...) و(أُفعولة:أعجوبة، أسطورة، أحدوثة...)

القسم الثالث: من أنواع الأبنية والصيغ هو النادر الاستعمال كالصيغ التي جاءت على وزنها كلمة أو بضع كلمات ،وهو ما أسماه المتقدمون نوادر الأبنية وأفرد له ابن قتيبة في "أدب الكتاب" والسيوطي في "المزهر" فصولا خاصة.ومثال ذلك وزن(فعلوت) وجاء منها ملكوت وجبروت، ورحموت، ورهبوت، و(فعّول) منها سبوح، قدّوس، و(فاعيل)ومنها قابيل، هابيل، وآمين،و(فِعيل) ومنها عثير وغرين ،و(فعِل)ولم يرد منها إلا إبل،وإطل.ومن هذا يمكن أن نقول أن الأبنية من هذا النوع يمكن أن نسميها أبنية مية وأن نعتبر الألفاظ الباقية على وزنها من رواسب الماضي البعيد[2].

4/تصنيف الصيغ والأوزان في العربية:

قسم اللغويون الأبنية إلى قسمين :أحدهما للأسماء والآخر للأفعال.ولاشك أن أبنية الأفعال واضحة محدودة واضحة المعالم تبلغ بضعا وعشرين بناء وقد زاد بعضهم فيها أوزانا ردها آخرون إلى الأوزان المعروفة وذلك مثل (تفوعل)تجورب، و(تفيعل) تشيطن ،و(تمفعل) تمسكن ،و(تفعلى)تقلسى ،و(تفعنل) تقلنس، وجمهور الصرفيين جروا على اعتبارها جميعا من باب (تفعلل)[3] .

وأما أبنية الأسماء فعددها كبير جدا ،وبينها وبين أوزان الأفعال في لغتنا العربية أوزانا مشتركة نحو:

---

[1] ينظر:المزهر:2/3-4.

[2] ينظر:فقه اللغة وخصائص العربية: مُحَمَّد المبارك،ص127-133.

[3] ينظر:المزهر:2/115.

الأوزان	فَعلَ	فَعِل	أفعل	فعلل	فاعَل
الأسماء	جمل	حذِر	أسود –أعلم	جعفر	خاتم
الأفعال	كتب	عَلِم	أقدم– أَعلُم	دحرج	سابَقَ

ومما قدمناه يمكن التساؤل عن تعليل هذا الاشتراك وهل يرجع إلى عهد من عهود اللغة لم يكن التميز فيه بين الأسماء والأفعال واضحا.نعود ونقول إن تخصيص كل من الأسماء والأفعال بأوزان خاصة لدليل على ارتقاء اللغة ودقتها في التعبير،فاللغة التي لا تميز بين الأسماء والأفعال قد تقع في التباسات كثيرة خاصة إذا خلت من الإعراب .إلا أن لغتنا العربية قد حضيت بهذا التمييز بين صيغها وأبنيتها من الأسماء والأفعال منذ زمن بعيد،وخير دليل على ذلك قصة أبي الأسود الدؤلي مع ابنته حيث : «أن ابنة له قالت له ذات يوم:يا أبت ما أشدُّ الحرِّ،فقال لها الرمضاء في الهاجرة يابنيَّة.أو كلاما نحو هذا...فقالت له لم أسألك عن هذا،إنما تعجبت من شدة الحر فقال لها قولي إذن ما أشدَّ الحرَّ:ثم قال :إنا لله فسدت ألسنة أولادنا».[1]

والمتصفح لموروثنا النحوي يجد رواية أخرى مفادها أن «ابنته قالت له يوما يا أبتِ ما أَحْسَنُ السَّمَاءِ؟قال أي بنية!نجومها.قالت:إني لم أرد أي شيء منها أحسن،إنما تعجبت من حسنها قال:إذن فقولي :ما أَحْسَنَ السَّمَاءَ! »[2].

من هذه الرواية يمكن ملاحظة أن ابنته قد خلطت بين "أحسن"التي هي اسم تفضيل ، و"أحسن" التي هي فعل استعمل للتعجب.

والأبنية من حيث دلالتها على الجمع أو المفرد تنقسم إلى أبنية خاصة بالجموع نحو :فواعل،وفعائل، وفعالي، وفاعلل، ومفاعيل ،وأبنية خاصة بالمفرد وهي أكثر الأبنية المسرودة في كتب اللغة [3]،وأبنية مشتركة بين الجمع والمفرد نحو:"فعال"قد تدل على المفرد ككتاب ولباس وجهاد ،وقد تدل على الجمع كرجال وكرام ،ومثل "فُعل" (أُسد، قُفل) ،وفِعلة (جِلسة،وصِبية) .

والناظر إلى كتب فقهاء اللغة وعلماء الصرف يجدهم قد أوردوا أبنية الجموع وجعلوها أقساما (سالمة وغير سالمة ، وجموع قلة ، وجموع كثرة) ،كما أورد علماء اللغة الألفاظ التي شذت عن القاعدة كأن يكون البناء للمفرد وتأتي منه ألفاظ تدل على الجمع وذلك كبناء (فعل) فقد ورد منها ألفاظ مخصوصة

[1] الإيضاح في علل النحو – الزجاجي–تح:مازن المبارك–دار النفائس–بيروت–ط:4/1984م–ص:89

[2] أخبار النحويين والبصريين– السيرافي –عني بنشره وتهذيبه فريتسل كونكو– بيروت– 1968م–ص:19

[3] ينظر:المزهر:2/24-72.

جميعا لفاعل مثل(حرس،خول، سلف، عسس، خدم، هلم)[1] ؛أو أن يكون البناء للجمع وتأتي منه ألفاظا تدل على المفرد كوزن "فُعَّلَ" فقد جاءت منه ألفاظ معودة ليست جمعا نحو: (حول، قلب، خلب، دلم، صلب، سلم...)،وقال ابن فارس : ولم يوجد في كلام العرب "أَفْعُلُ" غير هذا الحرف(آنك بمعنى الرصاص)،وحكي عن الخليل أنه لم يجد "أفعُلا" إلا جمعا غير أشد[2].

ونبه علماء اللغة إلى ما كان خاصا من الأبنية بالأسماء ،وما كان خاصا بالصفات ، وما استثنى من ذلك فوزن "فَعِل" مثلا لم يأت إلا صفة كحذر و درد[3] ،ووزن "فعال" للاسم كغراب والصفة كشجاع ، ووزن ""مفعِل"للأسماء كمسجد وهو قليل في الصفات وفي الصحاح ليس في كلام العرب "فِعْلى" صفة وإنما هو من بناء الأسماء كالشعرى[4].

5/نشأة الأبنية والأوزان:

مما تقدم من دراسة للأبنية الألفاظ وأوزانها في لغتنا العربية يعطينا صورة واضحة عن هذا الجانب منها كما تبدو لنا في عصورها المعروفة ونصوصها المتداولة القديمة منها والحديثة ،ومما يبدو لنا من هذه الدراسة حول نشأة الأبنية الملاحظات الآتية:

– إن في العربية عددا كبيرا من الصيغ أو الأوزان المتنوعة في أشكالها وهيئات تركيبها وفي دلالاتها ومعانيها منها المتقارب المتشابه والمتباعد المختلف وعلى مثالها وهيئاتها وردت جميع ألفاظ العربية الدالة على المعاني أي كل ما سوى الأدوات النحوية والروابط اللفظية.

5-1/ تعدد معاني الأبنية:

قد يدل الوزن الواحد في العربية على معان متعددة فوزن"فعيل" يدل على الصفة الثابتة في نحو (كريم وشريف ،وخبير) ،وعلى الصوت في نحو (صهيل وهويل وزئير). ويدل وزن "فعال" على مصدر فاعل يفاعل (كقتال وسباق) ،وعلى أدوات وآلات في مثل (إناء وحزام) وعلى جمع فعيل أحيانا (ككرام ولئام وطوال). ويدل وزن (أفعل)من الأفعال على متعدي فَعَل اللازم كأخرج وعل وجدان الشيء على صفة كأحمده وجده حميدا ،وعلى بلوغ الشيء كأحصد الزرع بلغ أوان حصاده وغير ذلك من المعاني الكثيرة .

---

[1] المزهر:2/115.

[2] المزهر:2/117.

[3] نفسه:2/5.

[4] نفسه:2/53-67.

5-2/ تعدد الصيغ للمعنى الواحد:

قد يدل على المعني الواحد أوزان متعددة فمبالغة اسم الفاعل تدل عليها صيغة(فعّال ومفعال وفعول وفعل وفِعّيل) وعلى الأصوات (فُعال وفَعيل) والألفاظ الدالة على الآلات والأدوات وردت على أوزان متعددة منها (فاعول) وقد وردت على وزنها عدد من الكلمات كالخاطوف والساطور والقارورة والكانون والماعون والناقوس ووردت كلمات أخرى على وزن (فِعال) كالعنان والشعار والدثار والرداء والإزار والغطاء ،وأتت غيرها على وزن (مِفعل) كمبرد ومسن وأخرى على وزن(مِفعال) كمفتاح ولم يذكر النحاة إلا هذين الوزنين الأخيرين ولعل ما ورد منها أقل مما ورد على وزن فعال.

5-3/ تفاوت الصيغ في حيويتها:

المتصفح في موروثنا اللغوي يلاحظ أن الصيغ والأوزان التي استخرجها واستقصاها علماء اللغة ليست متساوية في استعمالها فبعضها بادي النشاط ظاهر الحياة وبعضها راكدا جامد العروق ثابت في مكانه وبعضها الآخر ميت بعيد العهد بالحياة.

5-4/ تولد صيغ جديدة:

مما سبق ملاحظته من عارض الجمود وركود الموت في بعض الأوزان يلمح نشوء صيغ جديدة في عصور العربية بعد الإسلام وبعد العهد الذي بدئ فيه بتدوين العربية كالصيغة الناشئة من إضافة الألف والنون مع ياء النسبة نحو: "روحاني وجسماني"ومن إضافة ياء النسبة مع التاء للدلالة على المذهب "كالصوفية والسلفية والمادية والاشتراكية".

وإذا عدنا قليلا إلى اللهجات العامية في البلاد العربية للاستنارة وتتبع بعض الظواهر لاحظنا ميل هذه اللهجات إلى ابتداع بعض الصيغ القريبة من القديمة والمشابهة لها وإبدال الصيغة الدالة على معنى بصيغة أخرى وذلك كصيغة(تفطن) في اللهجة الشامية (تكسلن ،تمحرن) و(انفعل) في اللهجة المصرية للأفعال المطاوعة ،ووزن (فعَّال) مع تاء التأنيث وبدونها لتسمية الآلات والأدوات الحديثة في كثير من اللهجات العربية وذلك نحو (سخانة، وبراد وسماعة وغسالة ولقاطة ومساحة).وكاستعمال وزن (فعيل) في اللهجة الشامية كذلك لمبالغة اسم الفاعل بدلا من (فعّال) وقد دخلت بعض هذه الألفاظ في اللغة الفصحى ولم ينكر استعمالها أحد لامكان تخريجها على قواعدها وأصولها وذلك مثل: (سيارة وبراد ودراجة)[1].

[1] ينظر :فقه اللغة وخصائص العربية:137-140.

6/تطور الأبنية والأوزان:

إن الفكرة التي تبدو للمتأمل بادئ الرأي في الأمر الصيغ والأوزان في العربية ،هي أن هذه الأوزان كانت وما تزال منذ عهد الشنفرى وامرئ القيس هي هي لم تتبدل ولم تتغير .فالفاعل من كل مادة يدل على من فعل الفعل والمفعول يدل على من وقع عليه الفعل وهكذا الصيغ الأخرى.فهي عنصر من عناصر الثبات والاستمرار والاتصال في اللغة العربية نقلت في قوالبها الرائعة الأفكار والمعاني من جيل إلى جيل خلال عصور طويلة وذلك ما عجزت عنه كثير من اللغات ،وهذه الفكرة صحيحة سديدة ولكنها لا تمنع أن يكون ثمة تطور بطيء جدا نكاد لا نشعر به وهو لا يحول دون أداء الصيغ لهذه الوظيفة الرائعة ولا يشابه ما في اللغات الأخرى من تبدل سريع لا تفرضه الحاجة ولا تتطلبه الحياة يجعل اللغة لغات مختلفة ويقطع ما بين الأجيال.

إن دراسة الصيغ والأوزان العربية لا تزال في مرحلة لا تسمح للباحث أن يرسم خط تطورها ويستخرج قوانين تبدلها خلال العصور ،ذلك أن بلوغ هذه النتائج يستوجب دراسة شاملة واستقراء تاما للأوزان في جميع عصور العربية كما يستوجب الرجوع إلى دراسة الموضوع نفسه في اللغات السامية منذ عهودها الأولى التي كانت فيها على اتصال واشتراك.

ويمكن القول أن التغيير الطارئ على الأوزان في أطوارها المتعاقبة واقع على بنائها أو على معناها ومدلولها.

أما تطور بناء الأوزان وشكلها فهو الأقل وقوعا وإلا بطأ حدوثها لما نلاحظه من ثبات أوزان العربية خلال عصور متطاولة ،ويرى بعض الباحثين[1] أن وزن (فاعيل وفاعول وفاعال) من أقدم الأوزان وأن (فاعيل) بتطورها ولدت (فاعل وفعيل) ومنهما تولد وزن(فَعِل) وإن(فاعول) ولدت (فاعول) وإن (فاعال) ولدت (فاعَل وفعال) ومنها تولد (فَعَل).

أما تطور معاني الأوزان ودلالات الصيغ فهو أظهر وأوضح لما له من شواهد في عصور العربية المعروفة المدونة وهو أكثر وقوعا وأسرع حدوثا ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من تطور الأوزان ما ورد للدلالة على الآلات والأدوات فإن أقدم الألفاظ التي تدل على ذلك وردت على وزن (فاعول) وهي محدودة قليلة ولكن العدد الأكبر منها جاء على لفظ (فِعال) كالألفاظ الدالة على الألبسة(ازار ورداء وخمار ونطاق وحزام ونقاب ولباس وغيرها) وكالألفاظ الدالة على مرافق وأدوات وأخرى

[1] مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد:عبد الله الغلايلي،المطبعة العصرية،القاهرة،مصر،2003 ،ص:170.

متنوعة(كاللجام والعنان والوعاء والسقاء والغطاء والفراش والكتاب والوقاء والقراب) ،وهي ألفاظ كثيرة وقديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام.

ثم نجد ألفاظا على وزن (مِفعَل أو مفعال)كمعجن ومبرد ومفتاح.وإذا انتقلنا إلى العصور الحديثة وجدنا اتجاها في اللهجات العامية العربية إلى استعمال وزن (فَعَّال) للدلالة على الآلة المستحدثة .

ولا شك أن تجاور المعاني وتداعيها سبب لانتقال الوزن أو البناء من معنى إلى آخر ،من ذلك أن المبالغة في الفعل في صيغة (فَعَّال) تقتضي شدة التلازم بين الفاعل والفعل ولهذا استعملت للدلالة على النسب والحرفة ولو لم يكن منها فعل كالمطار من المطر والسمان من السمن والزيات من الزيت والفنان من الفن ومن هذا القبيل نشوء معنى السببية في صيغة(مَفعَلة) وهي في الأصل تدل على المكان فنقلت من الدلالة على المكان إلى الدلالة على السبب وأضيفت إليها التاء للتفريق[1].

إن دراسة أبنية الألفاظ في أطوارها الماضية وأشكالها الحاضرة في تاريخها تنير أمامنا السبيل للنظر في حل مشكلاتنا الحاضرة المتعلقة بهذه الناحية من لغتنا وتجعلنا نشرف على المستقبل ونحدد اتجاه المسير في هذا التطور المقبل.

[1] ينظر :فقه اللغة وخصائص العربيةك140-142.

المحاضرة السابعة:

الترادف في اللغة العربية

قبل الولوج في ظاهرة الترادف ،والذي يقال له أيضا المترادف ، لابد علينا أن نقف قليلا عند التعريف اللغوي ثم الاصطلاحي.والبحث فيه سيكون في المسائل التالية:

1/**الترادف في اللغة** :هو ركوب أحد خلف آخر ،«يقال :رَدِفَ الرجل وأردفه ،أي:ركب خلفه...يقال ردفت فلانا،أي :صرت له ردفا.والرِّدْف:المرتَدِفُ،وهو الذي يركب خلف الراكب...،وكل ما تبع شيئا فهو ردفه.

والرِّدْفُ أيضا :تَبِعَةُ الأَمْرِ يقال:هذا أمر ليس له رِدْفٌ،أي: ليس له تبعة.يقال ترادف الشيء ، أي: تبع بعضه بعضاً»[1].قال ابن فارس أن «الراء والدال والفاء أصلٌ واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء؛ فالترادف التتابع، والرديف الذي يرادفك»[2].

2/**أما في الاصطلاح**: فعرّف بعدة تعريفات متقاربة: منها ما ذهب إليه الجرجاني حين رأى بأن: «المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة»[3].ثم أردف بقول آخر مفاده أن:«الترادف: هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد»[4].ثم قال في موضع آخر من كتابه "التعريفات" «المرادف:ما كان مسماه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو خلاف المشترك»[5].وإلى هذا الرأي يشير "السيوطي" رحمه الله قائلا: « قال الإمام فخر الدين: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد»[6].

والترادف في الاصطلاح ما اختلف لفظه واتفق معناه ،أو هو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد ،مثل أسهب ،وأطنب ،وأفرط ،وأسرف ،وأغرق،بمعنى واحد. وكالأسد ، والسبع، والليث، وأسامة،....والتي تعني مسمى واحد.

ومن أمثلة الترادف الكثيرة الذائعة في لغتنا المعاصرة استعمال الدار والمنزل ،والمسكن والبيت في معنى

---

[1] لسان العرب: (رد ف).

2_ معجم مقاييس اللغة 503/2.

3_ التعريفات ص199.

4_ التعريفات ص56.

5_ التعريفات ص208.

6_ المزهر 402/1.

المكان الذي يتخذ مستقرا ومأوى ثابتا.

وكذلك الخليل والأنيس ،والعشير،والصديق،والرفيق،والزميل،والنديم وغيرها من الألفاظ الواردة في شأن الصاجب والمصاحب[1].ومن أمثلة الترادف أيضا قولهم في أسماء السيف:الرّداء ،والخليل، والقضيب، والصحيفة، والمفقر، والعضب،والحسام،والمذكر،والمهند،واليماني،والأبيض،والصارم...وألّيس الضّرب، والشّوب،والورس، والدستفشار ، والمستفشار،والشهد،والجنى،والسلافة،والرحيق،...للذي يسمى على الذات العسل في العربية[2].

والعربية من أغنى لغات العالم بالمترادفات وربما كانت أغناها على الإطلاق.فللسيف مثلا أكثر من ألف اسم،وللأسد خمسمائة اسم وللداهية أكثر من أربعمائة اسم ، وللثعبان مائتا اسم ،وللعسل أكثر من ثمانين ،ولكل من المطر والناقة والماء والبئر والنور والظلام وغيرها من الأشياء التي عرفها العربي في جاهليته،والصفات :طويل ،وقصير،كريم،بخيل، شجاع،جبان..الخ عشرات من الألفاظ.وقد جمع أحد المستشرقين المفردات العربية المتصلة بالجمل وشؤونه ، فوصلت إلى أكثر من وخمسة آلاف وستمائة أربع وأربعين [3] .

3/**موقف الباحثين من الترادف:**اختلف علماء اللغة العرب القدماء في وقوع الترادف في العربية،فمنهم من أنكره ومنهم من اعترف به.

وأما الذين أنكروه فأمثال "أبو علي الفارسي "،و "أحمد بن فارس"،و "أبو هلال العسكري"، و"أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب "... ؛إذ التمسوا في ذلك فروقا دقيقة للكلمات التي يُظنُّ فيها اتحاد المعنى .فكان ثعلب يرى أن ما يظنه بعضهم من المترادفات هو من المتباينات[4].وقد روي عن أبي"علي الفارسي"نكتة صريحة في إنكاره الترادف جاء فيها:«كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ومنهم"ابن خالويه"، فقال أحفظ للسيف خمسين اسما،فتبسم أبو علي وقال:ما أحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف.قال ابن خالويه:فأين المهند،والصارم،وكذا وكذا؟ فقال أبو علي:هذه صفات،وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة»[5].

---

[1] ينظر:محاضرات في فقه اللغة:زبير دراقي ،ص99 .

[2] ينظر:المزهر:407/1.

[3] ينظر:فقه اللغة:علي عبد الواحد،ص131.

[4] المزهر:403/1.

[5] نفسه:405/1.

أما "ابن فارس" فذهب مذهب معلمه "ثعلب" فأنكر وقوع الترادف قائلا: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو:السيف،وما بعده من الألقاب صفات.ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى ... وأما قولهم إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء، فإنا نقول : إنما عبر عنه عن طريق المشاكلة ،ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه ،وإنما نقول :إن في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى »[1].

ومن المنكرين للترادف "أبو هلال العسكري"؛إذ ذهب به هذا الإنكار إلى تأليف كتاب"الفروق اللغوية" ، ورأيه في ذلك «أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة ،فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا كان الثاني فضلا لا يحتاج إليه »[2] .ولما عجز عن دحض كل الشواهد الواردة في الترادف رد الأمر إلى اختلاف اللغات قائلا: «فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق بين معنييها ،فاعلم أنها من لغتين مثل القدر بالبصرية والبرمة بالمكية »[3].

وهناك طائفة ثانية أيدت الترادف،و ألف بعضهم فيه كما فعل الأصمعي في كتابه المسمى"ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه"،وكما فعل" أبو الحسن علي بن عيسى الرماني" في كتابه المسمى "الألفاظ المترادفة".ومنهم من ذهب إلى حد التباهي والمفاخرة بما جمع أو حفظ من المترادفات ،فهذا "ابن خالويه" قائلا: «جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحيّة مائتين »[4]،وهذا "حمزة بن حسن الأصبهاني" يجمع من أسماء الدواهي ما يزيد عن أربعمائة،ذاكرا أن تكاثر أسماء الدواهي من الدواهي.وهذا الأصمعي ، يسأله هارون الرشيد عن شعر لابن حزام العكلي ،فيفسره.فيقول له الرشيد:يا أصمعي ،إن الغريب عندك لغير غريب،فيقول: يا أمير المؤمنين ،ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما؟[5]

وممن أيد الترادف واستعظم شأنه "أبو الفتح عثمان بن جني" حين قال:«وهذا مذهب في اللغة طريف،غريب لطيف.وهو فقهها ،وجامع معانيها ،وضامٌّ نشرها »[6]،والمتتبع لكلام "ابن جني" يراها يتحدث عن الترادف مشيرا إلى أن ضيق الوقت كان الحائل بينه وبين رغبته في إنشاء كتاب من ألف ورقة في الترادف على اختصار وإيماء.

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة:114-116

[2] الفروق اللغوية:أبو هلال العسكري،ص11.

[3] نفسه:ص16.

[4] المزهر"325/1.

[5] ينظر:المزهر:325/1.

[6] الخصائص:133/2 .

ومن الحجج الدالة على وجود الترادف ما روي عن "زيد بن عبد الله بن دارم" أنه وفد على بعض ملوك حمير فألفاه في متصيد له على جبل مشرف ،فسلم عليه فانتسب له. فقال له الملك: ثب أي اجلس ،وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل ،فقال لتجدني أيها الملك مطواعا،ثم وثب من الجبل فهلك .فقال الملك:ما شأنه ؟ فحبروه بقصته وغلطه في الكلمة .فقال :أما أنه ليست عندنا عَرَبِيَّتْ ،من دخل ظفارِ حمَّرْ،أي فليتكلم بالحميرية[1].

وخلاصة القول أن الترادف حقيقة لغوية في كثير من اللغات ومن جحده فقد ألغى جزءا من رصيد العربية اللغوي المستعمل من قبل الشاعر والأديب وحتى الإنسان الأمي الذي لا يميز الجلوس من القعود ولا القيام من النهوض.

4/أسباب الترادف:

لم يأت الترادف هكذا صدفة في أي لغة كانت ،وإنما هناك أسباب تضافرت واشتركت في خلقه ،ومن بين الأسباب التي أدت إلى كثرته ما سيأتي:[2]

– انتقال كثير من مفردات اللهجات العربية إلى لهجة قريش بفعل طول الاحتكاك بينهما ،وكان من بين هذه المفردات كثير من الألفاظ التي لم تكن قريش بحاجة إليها لوجود نظائرها في لغتها ،مما أدى نشوء الترادف في الأسماء والأوصاف.وإلى هذا الرأي يميل ابن جني قائلا: «وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما ،ثم إنه استفاد من الأخرى من قبيلة أخرى ،وطال بها عهده ،وكثر استعماله لها، فلحقت–لطول المدة واتصال استعمالها– بلغة الأولى... وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات ،اجتمعت لإنسان واحد ،من هنا ومن هنا»[3].فالمقصود من هذا القول الاحتكاك اللساني وتبادل الألفاظ ذات المعنى الواحد بين الجماعات اللغوية المنتمية إلى أسرة لسانية واحدة.

– انتقال كثير من نعوت المسمى الواحد من معنى النعت إلى معنى الاسم الذي تصفه، فالهندي والحسام واليماني والعضب والقاطع من أسماء السيف ،يدل كل منها في الأصل على وصف خاص للسيف مغاير لما يدل عليه الآخر.

---

[1] ينظر:المزهر:1/396-397.

[2] ينظر: فقه اللغة:علي عبد الواحد،ص172-175.

[3] الخصائص:1/372-374.

– انتقال كثير من الألفاظ الجزرية والمولدة والموضوعة والمشكوك في عربيتها إلى العربية ،وكان لكثير من هذه الألفاظ نظائر في اللغة العربية ،مما أدى إلى نشوء الترادف في الأسماء والأوصاف والصيغ[1].

– أخذ واضعي المعاجم عن لهجات قبائل متعددة ،اشتملت على مفردات غير مستخدمة في لغة قريش ، ويوجد لمعظمها مترادفات في متن هذه اللغة.

– عدم تمييز واضعي المعاجم بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، فهناك مترادفات كثيرة لم توضع في الأصل لمعانيها ،بل كانت تستخدم في هذه المعاني استخداما مجازيا.

– تدوين واضعي المعاجم كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال ومستبدلا بها مفردات أخرى.

– كثرة التصحيف في الكتب العربية القديمة ،وخاصة عندما كان الخط العربي مجردا من الإعجام والشكل.

– وهناك سبب آخر يمكن حصره في نقطة الاتساع في الكلام مثلما عبر عنه "أبو علي مُحَّد بن المستنير قطرب " القائل: «إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم »[2].والترادف المعنوي أو تنويع الدوال لمدلول واحد هو ضرب من ضروب الاتساع عند العرب المولعين قديما وحديثا بفنون النظم والنثر.

5/**فوائد الترادف:**لوقوع المترادف عند القائلين به فوائد عديدة ترجح ما ذهبوا إليه، وترد على من يقول بمنع وقوعه، ومن تلك الفوائد ما يلي[3]:

– براعة العربي في شرح كلمة بكلمة مرادفة لها ،فلقد روي في الجمهرة قولا مفاده أن أبا زيد قال: «قلت لأعرابي ما المحْبَنْطَىء[4] ؟ قال:المتكأكئ .قلت: ما المتكأكئ ؟ قال:المتآزف .قلت ما المتآزف؟ قال :أنت أحمق.»[5] ،المتأمل لهذا القول يرى أنه يدل دلالة واضحة على وجود الترادف في العربية وشيوعه بين من كانوا يحسنون إقامة لفظ مقام آخر لمعان متقاربة في الذات أو في الصفات.

ـ ومن فوائد الترادف أيضا أن تكثر الوسائل التعبيرية للمتكلم الذي تخونه ذاكرته ،وتغيب عنه اللفظة المقصودة، أو يعسر عليه نطقها بسبب لثغة في لسانه ،فيجد في المترادفات ما يعينه على الإفصاح عما يدور في نفسه وبلوغ مراده.

---

[1] ينظر:فقه اللغة العربية وخصائصها:176.

[2] المزهر:400/1.

3 ينظر المزهر 406/1.

4 المحبنطىء: السمين الضخم، ويقال: هو الممتلئ غيظاً.

[5] المزهر:413/1.

_ التوسع في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنثر؛ وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى _ باستعماله مع لفظ آخر _ السجعُ، والقافيةُ، والتجنيس، والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ.

_ قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي. وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين.

المحاضرة الثامنة:

المشترك اللفظي في اللغة العربية

1/تعريف المشترك اللفظي:

الاشتراك في اللغة: من الفعل اشترك يشترك، والمصدر اشتراك، والمشترك اسم المفعول. وفي الاصطلاح: عرف بعدة تعريفات متقاربة فيما بينها:

فهذا الجرجاني عرفه قائلا:« المشترك ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير»[1].و قال فيه ابن فارس :« تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو:(عين الماء) و (عين المال) و(عين السحاب)»[2].وعرفه ابن تيمية بقوله:«أن يكون اللفظ دالاً على معنيين من غير أن يدل على معنى مشترك بينهما»[3].وكذلك حدّدَه الأصوليون بقولهم:«إنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة» [4] .

من هذه التعاريف يمكن أن يعرف المشترك اللفظي بتعريف مختصر فيقال:هو ما اتحد لفظه، واختلف معناه.

2/أسباب المشترك اللفظي:

لنشأة المشترك اللفظي في العربية أسباب عديدة أهمها:

- اختلاف اللهجات العربية القديمة ،لأن كثيرا من أمثلة المشترك جاءها الاشتراك من اختلاف القبائل العربية في استعمالها،ثم جاء أصحاب المعاجم فضموا المعاني المختلفة للفظ الواحد،بعضها إلى بعض ،دون أن يكلفوا أنفسهم عناء نسبة كل من هذه المعاني إلى القبيلة التي كانت تستعمله. وبعض أمثلة هذا المشترك كانت معانيه مختلفة كذلك باختلاف القبائل،ثم اقتبست قريش هذه المعاني وضمتها على لهجتها، فصار اللفظ الواحد يطلق على جميع هذه المعاني .ومن أمثلة هذا النوع:"الألفت" للأحمق في لغة قيس ، والألفت للأعسر في لغة تميم .وكذلك بالنسبة ل"السليط" ، فهو عند عامة العرب بمعنى :الزيت ،وعند أهل اليمن :دهن السمسم[5].

1_ التعريفات ص215.

2_ الصاحبي ص59.

3_ مجموع الفتاوى 227/20 ولو قال على معنيين أو أكثر لكان أولى.

4_ المزهر 369/1.

[5] المزهر:381/1.

– التطور الصوتي: وذلك بأن ينتاب الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير ،ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداهما ،فاتفقت لذلك مع الأخرى في أصواتها .وهكذا أصبحت الصورة التي اتحدت في ما سبق مختلفة المعنى ،بمعنى صارت لفظة واحدة مشترك بين معنيين أو أكثر.

ومثال ما نحن بصدده ما ورد في المعاجم العربية ،من أن "حنك الغراب " باطِنُ أعْلَى الفَمِ من داخِلٍ، أو الأَسْفَلُ من طَرَفِ مُقَدَّمِ اللَّحْيَيْنِ، و"حنك الغراب" هو مِنْقارُهُ، أو سَوادُه[1]، فإنه مما لاشك فيه أن "الحنك" بالمعنى الثاني ،متطورة على "الحَلَكُ" بمعنى شدة السَوادِ؛قلبت اللام فيها نونا،كما أبدلت في مثل: إسماعيل وإسماعين،وإسرائيل وإسرائين،وجبريل وجبرين ،وغير ذلك.

– الاستعمال المجازي:وهو انتقال قسم من الألفاظ من معانيها الأصلي إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما،ثم الإكثار من استعمالها ،حتى يصبح إطلاق اللفظ مجازا في قوة استخدامه حقيقة،ومن ذلك لفظة "العين" ،والتي سيأتي الحديث عنها أثاء عرض الأمثلة الخاصة بالمشترك اللفظي.

وهذا السبب (الاستعمال المجازي) يعد من أهم أسباب توسيع دائرة المشترك اللفظي ،ولاشك أن باستطاعة منكري المشترك اللفظي ،استنادا على هذا السبب ،أن يطالبوا بإخراج كثير من أمثلته القائمة على المجاز من دائرته ،من نحو:هلال الصيد،وهلال النعل ،وهلال الإصبع المطيف بالظفر،والهلال:الحية إذا سلخت ،والهلال :الجمل الذي أكثر من الضراب حتى هزل،وهي كلها استعمالات مجازية قائمة على علاقة المشابهة بينها وبين هلال السماء في شكله أو ضالته[2].

وكثير من الكلمات التي تسمى بالمشترك اللفظي،تجمع بين معنيين:إحداهما حسي والآخر معنوي ،ولا شك أن المعنى الأصلي في مثل هذه الحالة هو الحسي،وأن المعنوي فرع عنه بطريق المجاز[3].

– قد تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها،وإن اختلف معناها،وهنا نرى كلمتين متحدتين في الصورة ،مختلفتين في المعنى ولكن كلا منهما ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة.ومثال ذلك: "السور" بمعنى : حائط المدينة ،و"السور" بمعنى الضيافة.فالمعنى الأول للكلمة عربي ،والمعنى الثاني هو لكلمة فارسية شرفها النبي ﷺ حين نطق بها قائلا:"يا أهل الخندق ،قوموا فقد صنع جابر

[1] ينظر:القاموس المحيط: (حنك).

[2] ينظر:فقه اللغة مناهله ومسالكه،ص309.

[3] ينظر:في اللهجات العربية:إبراهيم أنيس،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ص172.

سورا".قال أبو العباس ثعلب : إنما يراد من هذا أن النبي ﷺ تكلم بالفارسية .صنع سورا ،أي طعاما دعا إليه الناس[1].

3/موقف الباحثين منه:

اختلف الباحثون في مسألة ورود المشترك اللفظي في اللغة العربية كما سبق وأن اختلفوا في مسألة الترادف، فأثبته قوم، ونفاه آخرون.

ومن الذين أثبتوه رأوا أنه وقع في العربية وأكثروا من ذكر الأمثلة والشواهد التي لاسبيل إلى الشك فيها،ولم ينكروا وجوده،ومن هؤلاء الأصمعي الخليل بن أحمد الفراهدي،سيبويه، و أبوزيد الأنصاري،وأبوعبيد ، وابن قتيبة، وابن مسعدة، والمبرد ،والسيوطي ، وابن الأنباري،وابن خالويه وغيرهم، بل إن بعضهم صنف فيه كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد.

وثم فريق آخرأنكر وجوده ومن هؤلاء "ابن درستويه" الذي سبق وأن عارض وجود المترادف في اللغة الواحدة ينكر أن يكون للفظة"وجد" من المعاني المختلفة :كالعثور على الشيء،والغضب، والعشق ،قائلا:«فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة ،وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد،وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا،ولكن فرقوا بين المصادر ؛لأن المفعولات كانت مختلفة ،فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضا مفعولة،والمصادر كثيرة التصاريف جدا ،وأمثلتها كثيرة مختلفة ،وقياسها غامض ،وعللها خفية،والمفتشون عنها قليلون،والصبر عليها معدوم ،فلذلك توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس،لأنه لم يضبطوا قياسها ولم يقفوا على غورها »[2].ويقول في موضع آخر ناكرا الاشتراك «فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف ،ثم جاءا لمعنيين مختلفين ،لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد،يشتركان فيه،فيصيران متفقى اللفظ والمعنى»[3].

ومن أنكر مسألة الاشتراك وحذا حذو "ابن درستويه" "أبو علي الفارسي" حين قال بأن«اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ،ولا أصلا ،ولكنه من لغات تداخلت ،أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى،ثم تستعار لشيء ،فتكثر وتغلب،فتصير بمنزلة الأصل»[4].

---

[1] ينظر:فقه اللغة مناهجه ومسالكه،ص310.

[2] المزهر:384/1.

[3] تصحيح الفصيح :ابن درستويه ،تح:عبد الله الجبوري ،بغداد،1985م ،240/1 ،نقلا عن :فصول في فقه اللغة:رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط1999/6 ،ص 325.

[4] المخصص:ابن سيدة،259/13.

والمتأمل للخلاف في المشترك يجد أنه ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم ولا يمكن إنكار وجودها في العربية ،وما كان ينبغي أن يتوسع فيه، ويشقق القول؛ لأنهم جميعاً متفقون على وجود ألفاظ في اللغة قد استعملتها العرب في الدلالة على معان مختلفة بغض النظر عن كيفية وجودها مثل لفظ (العين) فهي بلفظها قد استعملت لمعان كثيرة، وكذلك غيرها من الألفاظ التي سيأتي ذكر لبعضها.وهذا الاستعمال كافٍ في إثبات المشترك؛ لذلك فإن الذي عليه أكثر المتقدمين من اللغويين ــ هو القول بالاشتراك.

4/أمثلة المشترك اللفظي:

أول ما نبدأ به من أمثلة تلك الأبيات التي وردت عن الخليل ،والتي قيل على أنها ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ،,يختلف معناها:

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى إذ رَحل الجيرانُ عند الغُروبْ
أتبعتُهم طَرْفي وقد أزمعوا ودمعُ عينيَّ كفيض الغُروبْ
كانوا وفيهم طَفْلَةٌ حرَّة تفترُّ عن مثل أقاحي الغُروبْ

فالغروب الأول غروب الشمس، والثاني جمع غَرْب: وهو الدَّلْو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غرب: وهي الوِهَاد المنخفضة[1].

وأنشد سلامة الأنباري في شرح المقامات:

لقد رأيت هذرياً جَلْسا يقود من بطن قديد جَلْسا
ثم رقى من بعد ذاك جَلْسا يشرب فيه لبناً و جَلْسا
مع رفقةٍ لا يشربون جَلْسا و لا يؤمون لهم جَلْسا

جَلْس الأول: رجل طويل، والثاني:جبل عالٍ، والثالث:جبل، والرابع: عسل، والخامس: خمر، والسادس:نجد[2].

ومن لطائف المشترك أيضا :«أن رجلا قال لرؤبة:لم سماك أبوك رؤبة ؟ فقال:والله ما أدري أبروبة الليل،أم بروبة الخمير أم بروبة اللبن،أم بروبة الفرس؛فروبة اللبن:رغوته،وروبة الليل :معظمه،وروبة الخمير:زيادته،وروبة الفرس:قيل طرقه في جماعه وقيل عرقه، وهذا كله غير مهموز ،فأما رؤبة بالهمزة فقطعة من خشب يرأب بها القدح ،أي تصلحه بها»[3].

[1] المزهر 376/1
[2] المزهر 376/1_377.
[3] المزهر:371/1.

ومن أمثلة المشترك أيضا ما ورد عن "العين" من معاني مختلفة ،فبالإضافة إلى كونها حرفا من حروف المعجم إلا أنها تؤدي الدلالات الآتية:

العين:حاسة البصر التي ينظر بها / والعين:المعايتة / والعين: الاصابة بالعين / والعين:الربا/ وعين الشيء:نفسه أو خياره / والعين:المتجنس للخبر / والعين:الحر / والعين:الناحية / والعين:الخالص والنفيس / والعين:الشيء أو المال الحاضر / والعين:الربيئة والديدبان / والعين:النقد من الدراهم والدنانير ليس بعرض / والعين:الذهب المضروب / والعين:اعوجاج في الميزان / والعين جمع أعيان:أهل الدار،والناس،والأشراف،والسادة والأشقاء / والعين:عين القبلة / وعين الشمس:شعاعها التي لا تثبت عليه العين / وعين الركبة: النقرة أو المشاشة التي على رأس الركبة / وعين الإبرة:ثقبها / والعين:فم القربة والمزادة / والعين:بقر الوحش / والعين:سحابة تأتي من ناحية القبلة / والعين:مطر أيام كثيرة لا تقلع / وعين البئر:محرج مائه / والعين:الفوارة التي تفور من غير عمل / والعين:اسم لعدة أماكن[1].

[1] ينظر:المزهر:1/372-375.

المحاضرة التاسعة:

التضاد في اللغة العربية

1/تعريف التضاد في اللغة وفي الاصطلاح:

1-1/ **لغة:** جاء مادة(ضَدَدَ): الضِّدُّ كُلُّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبه والسّوادُ ضِدّ البياض والموتُ ضِدُّ الحياة والليل ضِدُّ النهار،..وضد الشيء خلافه، والجمع أضداد، وقد ضادَّه فهما متضادان، والتضاد مصدر[1].

1-2 **اصطلاحا:** هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين، أو هو: الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ واحد. وفي هذا قال ابن فارس: «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد»[2]. وقيل أيضا في تعريف التضاد « هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده »[3]. وفي العرف حد التضاد أن ترد الكلمات دالة على معنيين متضادين ،نحو:"الصّريم"يطلق على الليل والنهار لأن كل واحد منهما يتصرّم من صاحبه،و"المولى" للمنعِم المعتِق ،وللمنعَم عليه المعتَق ،و"الوامق" للمحِب والمحَب، و"بعثُ" يقال:بعت الشيء،على المعنى المعروف عند الناس ،وبعت الشيء ،إذا ابتعته ، و"الجَوْن" يطلق على الأسود، والأبيض[4].

2/ موقف الباحثين منه:

التضاد ظاهرة لغوية تشترك فيها العربية مع سائر اللغات ،وفي حقيقة الأمر هو نوع من المشترك اللفظي ؛إذ ينشأ من بعض علله فكل تضاد مشترك لفظي ،وليس كل مشترك لفظي تضاد،ولهذا السبب اختلف الباحثون بصدد وروده كاختلافهم في ورود المشترك اللفظي نفسه،فقد انقسموا إلى قسمين كما جرت العادة قسم مؤيد لوجوده ،وقسم آخر منكر له.

القسم الأول:ذهب أصحاب هذا الفريق إلى كثرة وروده ،وأورد له شواهد كثيرة ومنهم الخليل، وسيبويه، وأبوعبيدة ،والثعالبي ،والسيوطي[5]،وقد ألف في الأضداد عدد من أئمة اللغة مؤلفات على حدة لسرد أمثلته ، من بينهم : أبي علي مُحَمَّد المستنير قطرب،وأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي،وأبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد التوزي، ويعقوب أبي يوسف بن السكيت، وأب حاتم سهل بن مُحَمَّد السجستاني ،وأبي بكر مُحَمَّد بن

1 انظر لسان العرب مادة ضدد 3/263_264.

2 الصاحبي ص117.

3 انظر فقه اللغة :د. وافي ،148.

4 ينظر:فقه اللغة مسالكه ومناهجه،310.

5 المزهر:1/387.

القاسم الأنباري، وسعيد بن الدهان ناصح الدين ،وأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، وأبي الفضائل الحسن بن مُحَمَّد الصغّاني. فهذا "أبو بكر بن الأنباري" الذي أقر بوقوعه ولكن بوضع متعدد«إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي قد أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ،ولكن أحد المعنيين لحي من العرب،والمعنى الآخر لحي غيره،ثم سمع بعضهم لغة بعض .فأخذ هؤلاء عن هؤلاء،وهؤلاء عن هؤلاء ،قالوا الجَوْن: الأبيض في لغةحي من العرب ،والجَوْن:الأسود في لغة حي آخر،ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر،كما قالت قريش:حسِبَ يحسِبُ»[1].

ومما يدل دلالة واضحة على وجود التضاد ،هو استعماله لدى العرب من أجل الاتساع في الكلام ،وفي هذا الجانب قيل:«إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ،ليدلوا على اتساعهم في كلامهم ،كما زاحفوا[2] في أجزاء الشعر ،ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم ،وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب »[3].

والمتأمل لكتاب السيوطي يرى أمر الاتساع جليا«إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ،ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع ،فمن ذلك الصريم ،يقال للّيل صريم ،وللنّهار صريم؛لأن الليل ينصرم من النهار ،والنهار ينصرم من الليل ؛فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع،وكذلك الصارخ:المغِيث ،والصارخ:المستغيث ،سمّيا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة،والمستغيث يصرخ بالاستغاثة؛ فكلاهما من باب واحد »[4]

القسم الثاني: وفي الجهة المقابلة لهؤلاء الذين أنكروا الأضداد ، وتأول ما ورد منها في اللغة، ونصوص العربية. وأشهر هؤلاء: "ابن درستويه" ،وكان من الطبيعي أن ينكره لإنكاره الترادف والمشترك اللفظي من قبل ،فلو أقر بوجوده لما اتقد مع نفسه، لذا أنكره وأفرد كتابا عنوانه ينبئ بمحتواه لتأييد رأيه سماه"إبطال الأضداد"[5] ، فقد نقل عنه السيوطي قوله في "شرح الفصيح"« النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قَدْ ناء: إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً ، وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد »[6]،فالمتصفح لهذه المقولة يرى أن "ابن

[1] الأضداد:ابن الأنباري:11،نقلا عن فقه اللغة مناهجه ومسالكه:311.

[2] الزحاف في الشعر:أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر،والشعر مزاحف.

[3] المزهر:400-401 .

[4] المزهر:400/1 .

[5] المزهر"396/1.

[6] المزهر:396/1.

درستويه " من الناكرين لوقوع الأضداد ،و يتضح ذلك جليا عندما نعلم بأن له مؤلف يبطل فيه هذه الأضداد.

كما أورد "أبو المنصور الجواليقي " في "شرح أدب الكتاب "إنكار "أبي العباس أحمد بن يحيى" في قوله: «ليس في كلام العرب ضد لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ،لأنه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض .وكلام العرب وإن اختلف اللفظ ،فالمعنى يرجع إلى أصل واحد مثل قولهم :التلعة:وهو ما علا من الأرض ،وهي ما انخفض ،لأنها مسيل الماء إلى الوادي.فالمسيل كله تلعة،فمرة يصير إلى أعلاه فيصير تلعة ومرة ينحدر إلى أسفله فيكون تلعة.فقد رجع الكلام إلى أصل واحد وإن اختلف اللفظ. وكذلك الجَوْن هو الأسود ، وإذ اشتد بياض الشيء حتى يعشى البصر رئي كالأسود »[1].

وقبل أن نختم هذا العنوان لابد من الإشارة إلى أن الشعوبية رموا العربية بنقصان الحكمة وقلة البلاغة بسبب ما فيها من الأضداد ،فقد رد " ابن الأنباري" على هؤلاء المنكرين وعنفهم بشديد الكلام في كتابه: "الأضداد في اللغة"،فرماهم بالزيغ والإزراء بالعرب ، ونفى عن أصحابها تهمة التقصير في صناعة الألفاظ والتحكم في البلاغة.قائلا: « ويظن أهل البدع والزيغ، والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم؛ لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم »[2].

وأردف قائلا: « إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه؛ فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال المتكلم والإخبار إلا معنىً واحدٌ»[3].

وممن رد على هؤلاء ابن فارس حيث قال: «...وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده، وهذا ليس بشيء. وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً، والفرس طِرْفاً هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد. وقد جرَّدنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا ردَّ ذلك، ونقضه؛ فلذلك لم نكرره»[4].فالمتأمل لما ذكرناه يرى أن ابن فارس تعرض لخلاف شديد حين قال في تعريفه للتضاد هذه المقولة.

وفي خلاصة هذا الجدال يمكن القول بكل تواضع واعتدال أن التضاد موجود في اللغة العربية لغة القرآن الكريم ؛إذ يتيح للمتكلم العربي التنقل بلفظ واحد من معنى إلى ضده .

---

[1] الصاحبي:117.

[2] الأضداد ص3

3 نفسه:ص3.

4 الصاحبي :117.

3/**أسباب التضاد:**هناك أسباب كثيرة أدت إلى وجود التضاد في العربية أهمها:

– دلالة اللفظ في أصل وضعه على معنى عام يشترك فيه الضدان.وقد يسهو بعضهم عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد،فمن ذلك كلمة"الطرب" ومعناها في كتب الأضداد :الفرح والحزن.والأصل في هذا المعنى خفة تصيب الرجل لشدّة السرور،أو لشدّة الجزع. و«الطرب ليس هو الفرح أو الحزن،وإنما هو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه أو حزنه»[1]

ومنه أيضا إطلاق لفظ "القرء"على الحيض والطهر،لأن معناه في الأصل الوقت المعتاد،والحيض والطهر كلاهما وقت معتاد للمرأة.ومنه كذلك لفظ "المأتم" الذي يدل على النساء المجتمعات في فرح وسرور ،وعلى النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة،والمأتم في الأصل :النساء يجتمعن في الخير والشر،والعامة تخطئ فتتوهم أن المأتم الاجتماع في الحزن خاصة.

– انتقال اللفظة من معناها الأصلي إلى معنى آخر مجازي:فقد يكون اللفظ موضوعا عند قوم لمعنى حقيقي، ثم ينتقل إلى معنى مجازي عند هؤلاء أو عند غيرهم.فيكون للتفاؤل كإطلاق لفظ "المفازة" للمكان التي تغلب فيه الهلكة،وسميت بذلك تفاؤلا بالسلامة،و"السليم" للملدوغ ،و"الريان"والناهل" للعطشان.

ويكون للتهكم كإطلاق لفظ"العاقل"على الجاهل ،وكإطلاق لفظ"أبي البيضاء "على الأسود تهكما واستهزاء بالمذنب. ويكون لاجتناب التلفظ بما يكره،كإطلاق لفظ"المولى" على السيد والعبد،ولفظ"البصير على الأعمى.

– اختلاف القبائل العربية في استعمال الألفاظ:نحو لفظ"وثب"المستعملة عند حِمْيَر بمعنى "قعد"وعند مضر بمعنى "ظَفِر"،ولفظة"السُّدفة" التي تعني عند تميم الظلمة ،وعند قيس الضوء ،وكلفظة "سجد" الذي يعني "انتصب"عند طيء، و "انحنى" عند سائر القبائل.

– الخوف من الحسد:شاع في الاعتقاد في قسم من القبائل العربية بالسحر والإصابة بالعين ،فترك المرء،في مثل هذه البيئة وصف الأشياء بالحسن والجمال حتى لا تصيبها عين الحسود.روي أنه «كانت امرأة لا يبقى لها ولد إلا أفقدها،فقيل لها نفري عنه ،فسمته قنفذاً،وكنّته أبا العدّاء فعاش»[2].

وفي ضوء هذه الغريزة يمكن فهم استعمالهم لفظ "شوهاء" للفرس الجميل والقبيح ،فيقال مهرة شوهاء إذا كانت قبيحة ومهرة شوهاء إذا كانت جميلة.وإطلاق اللفظ على المهرة الجميلة هو من باب درء العين.

---

[1] فقه اللغة:حاتم صالح الضامن،75.

[2] مجالس ثعلبة:لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب،تح:عبد السلام محمد هارون،دار المعرف،مصر،النشرة الثانية،دت،466/2 .

– اتفاق كلمتين في صيغة صرفية واحدة ،ومن ذلك كلمة "مجتثَّ" ومعناها الذي يجتث الشيء، والذي يُجتثُّ.وأصل اسم الفاعل من "اجتثَّ" "مُجْتَثِث" ،واسم المفعول "مُجْتَثَث"، وقد نشأ اتحاد اللفظين :اسم الفاعل واسم المفعول ، من الإدغام .ومن هذا السبيل "المختار"الذي يكون بمعنى يَختار والذي يُختار، و "المبتاع" ،بمعنى البائع وبمعنى المبيع.....

– التطور الصوتي:ويعني هذا العامل من عوامل التضاد أنه قد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض الإبدال أو الحذف أو الزيادة ،وفقا لقوانين التطور الصوتي،فيصبح متحدا مع لفظ آخر دال على المعنى مضاد للفظ الأول.ومن أمثلة ذلك:أقوى الرجل فهو مُقوٍ،إذا كان ذا قوة .وأقوى فهو مُقوٍ ،إذا كان قوي الظهر ، وأقوى فهو مُقوٍ،إذا ذهب زاده،ونفذ ما عنده.قلت إن الأصل في مادة "قوي"،هو ضد الضعف ،فيقال :قَوِيَ على الأمر:طاقه،وقاواني فقويته أي غالبني فغلبته ،وقاواه:أعطاه .وتقاوى القوم المتاع بينهم:تزايدوا حتى يُبلغوه غاية ثمنه.وأرى أن المعنى لم ينصرف إلى الضد وهو الضعف (في "أقوى"بمعنى ذهب زاده ونفذ ما عنده) إلا لما طرأ من تطور صوتي على كلمة "أخوى" التي تؤدي معنى الخلو والفراغ ،وتدل على ضد "أقوى"،وذلك بإبدال الخاء قافا لتقارب المخرج ، فيقال: خوي المكان:فرغ وخلا، وخوِيَت الدار :خلت ،وأخوى الزّند:لم يورِ، وأخوى الرجل:جاع..وأقوى:افتقر،وأقوت الدار:خلت من ساكنها،وأخوى ما عند فلان: أخذ كل شيء منه،وأقوى البقعة:أخلاها[1].

[1] التضاد في ضوء اللغات السامية:13 ،نقلا عن فقه اللغة مسالكه ومناهجه:318.

المحاضرة العاشرة:

الاشتقاق في اللغة العربية
مفهومه،أنواعه،العام،الكبير ،الكبار

1/ماهية الاشتقاق في اللغة وفي الاصطلاح:

يعتبر الاشتقاق من أهم وسائل النمو اللغوي ،والتعبير عن الدلالات الجديدة ،ومكتشفات العلم واختراعاته، وتطور وسائل الحياة والحضارة.

1-1/**لغة:** يعرف الاشتقاق في اللغة على أنه أخذ شيء من شيء. وفي هذا المضمار يقول ابن منظور: «اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل، واشتقاق الكلام: الأخذ به يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه»[1].

1-2/**اصطلاحا:** يعرّف الاشتقاق على أنه:« أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىً ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليُدَلَّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة» [2].وقال السيد علي الجرجاني معرفا الاشتقاق:«الاشتقاق :نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ،ومغايرتهما في الصيغة»[3]

والاشتقاق في جوهره عبارة عن«توليد لبعض الألفاظ من بعض،والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها ، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل،مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد »[4]

وعرفه إبراهيم أنيس على أنه: «عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من صيغة أخرى»[5].ثم يردف قائلا في موضع آخر:« هو استخراج لفظ من لفظ آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية»[6].

2/**أنواع الاشتقاق:** إن المتصفح للموروث اللغوي يبين القديم والحديث يرى أن للاشتقاق أربعة أنواع هي:

- الاشتقاق الصغير أو الأصغر.

---

[1] لسان العرب 184/1.

[2] المزهر 346/1 وقد نقله السيوطي عن صاحب شرح التسهيل أبي حيان.

[3] التعريفات:21.

[4] دراسات في فقه اللغة:صبحي الصالح،174.

[5] انظر من أسرار اللغة ص62.

[6] انظر من أسرار اللغة ص62.

- الاشتقاق الكبير أو القلب.
- الاشتقاق الأكبر أو الإبدال.
- الاشتقاق الكبّار أو النحت.

2-1/الاشتقاق الصغير أو الأصغر:

ويسمى الأصغر أو العام أو الصرفي،وهو «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية،وهيئة تركيب لها ،ليدل بالثانية على معنى الأصل ،وزيادة مفيدة ،لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة،كضارب من ضرب ، وحذِرٍ من حذِرَ»[1].وإلى هذا الرأي يميل سعيد الأفغاني في أصوله قائلا: «أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى ،وتغيير في اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأصلي ،وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق»[2].

والاشتقاق الأصغر أكثر ورودا في اللغة العربية ،وأكثرها أهمية ،وعليه تجرى كلمة "اشتقاق " إذا أطلقت من غير تقييد،لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه ،ويشتق بعضها من بعض ومعنى هذا افتراض الأصالة في قسم من الألفاظ ،والفرعية في القسم الآخر[3].والاشتقاق بهذا المعنى علم عملي تطبيقي في لغتنا العربية ،مختلف في مفهومه.

أما طريقة معرفته فتكون من خلال تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطرادٍ، أو حروفاً غالباً، كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط. أما ضارب ومضروب، ويضرب، واضْرب فكلها أكثر دلالة، وأكثر حروفاً. وضَرب الماضي مساوٍ حروفاً، وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها. هذا هو الاشتقاق الصرفي المعروف المحتج به الذي ينصرف الذهن إليه عند إطلاق الاشتقاق، وهو ما يعرف عند بعض اللغويين كابن جني بالاشتقاق الصغير أو الأصغر، حيث قال: «فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول، فتتقَّراه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك ما تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ؛ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة. وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره كـ: تركيب (ض ر ب) و (ج ل س) و (ز ب ل) على ما في

[1] المزهر:346/1 .
[2] في أصول النحو:130 .
[3] فصول في فقه اللغة:291 .

أيدي الناس من ذلك؛ فهذا هو الاشتقاق الأصغر» [1].

2-2/أقوال العلماء في وقوع الاشتقاق في اللغة:

قال السيوطي : «واختلفوا في الاشتقاق الأصغر؛ فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعي، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيباني، وطائفة: بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق. وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين: كل الكلم مشتق؛ ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج. وقالت طائفة من النظار: الكلم كله أصل، والقول الأوسط تخليط لا يعد قولاً؛ لأنه لو كان كل منها فرع للآخر لدار أو تسلسل، وكلاهما محال؛ بل يلزم الدور عيناً؛ لأنه يثبت لكل منها أنه فرع، وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل؛ ضرورةَ أن المشتق كله راجع إليه _ أيضاً _. لا يقال: هو أصل وفرع بوجهين؛ لأن الشرط اتحاد المعنى، والمادة، وهيئة التركيب؛ مع أن كل منها مفرَّع عن الآخر بذلك المعنى »[2].

وقال ابن فارس : باب القول على لغة العرب هل لها قياس، وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟

«أجمع أهل اللغة _ إلا من شذ عنهم _ أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأجَنَّه الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور، وأن الإنس من الظهور؛ يقولون: آنَسْتُ الشيء: أبصرته. وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهل. قلنا: وهذا _ أيضاً _ مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف؛ فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه[3].

وقال ابن دحية في التنوير: «الاشتقاق من أغرب كلام العرب، وهو ثابت عن الله _ تعالى _ بنقل العدول عن الرسول _ صلى الله عليه وعلى آله وسلم _ لأنه أوتي جوامع الكلم، وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة؛ فمن ذلك قوله فيما صح عنه: =يقول الله: أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي+ وغير ذلك من الأحاديث»[4].

أما أكثر العلماء كلاماً على الاشتقاق فهو ابن جني _ كما مضى النقل عنه، وكما سيأتي .

1_ الخصائص 490/1.

2_ المزهر 348/1.

3_ الصاحبي ص35_36.

4_ المزهر 346/1.

2-3/الاشتقاق الكبير أو القلب:

وقد أطلق عليه"ابن جني" الاشتقاق الأكبر ،غير أن الشائع لدى اللغويين المحدثين بخاصة إطلاق وصف "الأكبر" على الإبدال .ويعد هذا النوع من ابتكار "ابن جني" الذي مهما حاول إرجاعه إلى شيخه "أبي علي الفارسي" يبقى دائما مرتبطا به.فقد قال في باب الاشتقاق الأكبر ما نصه:«هذا موضع لم يسمِّه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي- رحمه الله- كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمِّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه وتعلم أنه لقب مستحسن»[1].ثم استطرد قائلا في تعريف الاشتقاق الكبير الذي يلقبه بالأكبر فيقول : «وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع عليه التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه؛ وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون في التركيب الواحد»[2].

ويعرف المحدثون هذا الاشتقاق الكبير بأنه «ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف من كل منها ،إلى مدلول واحد ،مهما يتغاير ترتيبها الصوتي»[3].

ومن أمثلة هذا النوع من الاشتقاق عند "ابن جني" تقليب "ك ل م " "ك م ل" "م ك ل" "م ل ك" "لكم" "ل م ك" في معنى القوة والشدة. و"ق و ل" " ق ل و" "و ق ل" "ول ق" " ل ق و" "ل و ق" في معنى الإسراع والخفة.و "ق س و" "ق و س" "وسق" "س و ق" "و ق س " "س ق و مهمل" "في معنى القوة والاجتماع .و "س م ل " "س ل م" "م س ل" "م ل س" "ل م س" "ل س م مهمل" في معنى الإصحاب والملاينة.[4]

وأقر ابن جني نفسه بأن هذا الاشتقاق الأكبر ،صعب التطبيق على جميع نصوص العربية.وفكرة التقاليب تعود إلى الخليل بن أحمد الفراهدي الذي حاول حصر كل المستعمل من كلمات اللغة العربية معتمدا على تقليب اللفظ إلى كل الاحتمالات الممكنة ،ومبينا المستعمل من هذه التقاليب من غير المستعمل .وعلى أساس فكرة التقاليب هذه رتب معجمه "العين".لكن الخليل لم ير أن التقاليب الستة للكلمة الثلاثية تدخل في باب اشتقاق واحد ،وترجع إلى أصل واحد يجمعها،بسبب اشتراكهما في الحروف الثلاثية مهما يكن

1_ الخصائص :133/2

2_ الخصائص :134/2

[3] فقه اللغة:علي عبد الواحد،180،دراسات في فقه اللغة:180 .

[4] ينظر:الخصائص،134/2-139.

موقعها وترتيبها[1] .

وقد وقف اللغويون والباحثون من مذهب ابن جني مذاهب مختلفة ،فمنهم من أيّده وبالغ فيه كالزجّاج الذي كان يزعم«أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ،وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى ،فإن إحداهما مشتقة من الأخرى ،فتقول"الرّحل مشتق من الرحيل،والثور إنما سمي ثورا لأنه يثير الأرض ،والثوب إنما سمي ثوبا لأنه ثاب(أي رجع)لباسا بعد أن كان غزلا »[2] .

ومنهم من أنكره كالسيوطي الذي رأى أن « هذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني ،وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيرا ،وليس معتمدا في اللغة ،ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب .وإنما جعله أبو الفتح بيانا لقوة ساعده وردّه المختلفات إلى قدر مشترك،مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وأن تراكيبها تفيد أجناسا من المعاني مغايرة للقدر المشترك.وسبب إهمال العرب وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلة ،وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى ،فحصوا كل ترتيب بنوع منها،ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعا كثيرة ،ولو اقتصروا على تغاير المواد،حتى لا يدنوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب،لمنافاتهما لهما،لضاق الأمر جدا ،ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها ،بل فرقوا بين مُعْتِق ومُعْتَق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدين »[3] .على طول هذا النص نلاحظ أن السيوطي أراد أن يقول :أن الاشتقاق الأكبر علامة على عبقرية ابن جني لا وسيلة فعالة لإنماء اللغة.

وممن حذا حذو السيوطي من المحدثين إبراهيم أنيس الذي رأى أن "ابن جني"« إن استطاع في مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال إنها في معجم صحاح اللغة تصل إلى أربعين ألفا ،وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفا ،فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير »[4]

وفريق ثالث وقف موقفا وسطا بين الفريقين ممثل في الدكتور صبحي الصالح ،فمن ناحية تحفظ على بعض الأمثلة التي أوردها ابن جني في هذا الباب ،واتهمه بالتعسف أحيانا فيقول:« قبل أن نقرأ لابني جني بحدة الذكاء وخصب الخيال ،لدى استنتاجه الرابط المشترك بين تقاليب هذه المادة ،نرى لزاما علينا أن نعترف

[1] ينظر:المزهر:354/1.
[2] المزهر:151/1.
[3] المزهر:347/1.
[4] من أسرار اللغة:68.

له بمقدرة الساحر الذي يظهر لك شيئا بينما يخفي أشياء ،ولكن براعته وخفة يده تبهران بصرك،فلا أنت تتبعه فيما أظهره،ولا أنت تلاحقه فيما أخفاه لقد جمع ابن جني تقاليب هذه المادة وما علم أنه متصرف منها،فأهمل بلطف ورشاقة ما لم ينسجم مع المعنى العام الذي استنبطه،وسد الثغرات فيما كان عليه شيء من الغموض ،وأسهب العبارة وأطال النفس فيما بدا له متناسقا مع المعنى الذي غاص عليه »[1] .وتتسع مساحة نقد الدكتور الصالح لطريقة ابن جني عندما يقول:«والحق أن ابن جني في باب الاشتقاق الكبير لو اكتفى بإحراج نفسه فيما قصر عنه علمه من إدراك الجامع المشترك بين بعض التقاليب لقلنا :رجل حاول،وهذا مبلغ علمه ،وحسبه شرفا أن قد حاول التنقيب عن خفي الروابط ودقيق المعاني ،ولكنه أحرج اللغة التي يعشقها ،ويؤمن بسحر ألفاظها ،إذا أجاءها إلى مضيق كبح فيه أنفاسها ،وحبس قواها عن التلف والانطلاق،ألا وهو مضيق الاشتقاق الكبير الذي سماه هو الاشتقاق الأكبر»[2] .

2-4/الاشتقاق الأكبر أو الإبدال:

والمقصود به الإبدال اللغوي وهو «أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى ،واتفاق في الأحرف الثابتة، وتناسب في مخرج الأحرف المغيرة مثل نهق ونعق،وعنوان وعلوان».[3]

وهو بعبارة أخرى«ارتباط قسم من المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاما لا ينقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته ،فمتى وردت تلك المجموعات على ترتيبها الأصلي فلابد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة ،سواء احتفظت بأصواتها أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخر تقارب مخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات » [4].

فمن أمثلة التقارب في المخرج الصوتي تناوب اللام والراء في هديل الحمام وهديره،والقاف والكاف في :كشط الجلد وقشطه،والباء والميم في:كبحت الفرس وكمحته.ومن أمثلة الاتفاق في الصفات تناوب الصاد والسين في:سقر وصقر،وسراط وصراط ،وساطع وصاطع[5].

والمتصفح لكتاب الخصائص "لأبي الفتح عثمان ابن جني" يرى أنه وقف على هذا النوع ولكنه لم يضع له اسما ،بل أدخله تحت باب " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، وأورد له كثيرا من الأمثلة ،مثل:جنف وجرف،

---

[1] دراسات في فقه اللغة:193 .

[2] دراسات في فقه اللغة:200 .

[3] في أصول النحو:سعيد الأفغاني،131.

[4] دراسات في فقه اللغة:210.

[5] نفسه:211.

والصقر والسقر،والصراط والسراط.[1]والإبدال في اللغة قسمان:إبدال صرفي ،وإبدال لغوي.

2-4-1/الإبدال الصرفي :وهو أن تقيم مكان حروف معينة ،حروفا أخرى بغية تيسير اللفظ وتسهيله،أو الوصول إلى الهيئة التي يشيع استعمالها ،كإبدال الواو ألفا في نحو"صام"(أصلها صومَ) أو كإبدال الطاء من التاء في اصطنع وأصلها (اصتنع).وقد اهتم النحاة اهتماما كبيرا بهذا النوع من الإبدال ،فاختلفوا في عدد حروفه ،فهي اثنا عشر حرفا يجمعها قولك(طال يوم أنجدتك)،وذهب بعضهم إلى أنها تسعة يجمعها قولك "هدأت موطيا"[2]....

2-4-2الإبدال اللغوي:وهو أوسع من الإبدال الصرفي ،لأنه يشمل حروفا لا يشملها الإبدال الأول.ولقد اختلف اللغويون في مفهومه ،فوسع جماعة دائرته ؛إذ ذهبوا إلى أنه يشمل حروف الهجاء جميعها ،وضيقها بعضهم فاشترطوا أن تكون الحروف المتعاقبة متقاربة المخرج ،وأن تكون إحدى اللفظتين أصلا للأخرى لا لغة في الثانية[3].

ولقد اختلف اللغويون في صلة الإبدال بالاشتقاق فعده قسم أحد أنواع الاشتقاق وسماه الاشتقاق الكبير أو الأكبر[4]،وذهب آخرون[5] إلى أن الإبدال يتنافى وطبيعة الاشتقاق ،لأن الاشتقاق لا يهدف إلى الترادف ولا يؤول إليه،ولأن "ابن جني" توسع في مفهوم الاشتقاق ،ولم يعد الإبدال ضربا منه.

والإبدال ليس سوى ظاهرة صوتية تقوم باستبدال بعض الحروف ببعضها الآخر وتعود إلى عدة أسباب منها:

-التطور الصوتي في الحرف المبدل ،وأكثر ما يكون ذلك في الحروف المتقاربة المخرج كالسين والزاي ،في مثل"الشاسب" و"الشازب" :اليابس ،وكالسين والصاد في نحو:"القسطل"و "القصطل".

-الخطأ في السمع في نحو:" الخطيط " في "القطيط".

-التصحيف الناتج عن قلة الإعجام قديما ،نحو:تقيّأت المرأة وتفيّأت:تثنت على بعلها وتكسرت له تدللا وألقت نفسها عليه[6].

الإبدال اللغوي إذا موجود في اللغة،قدم ابن جني، وهو حقيقة لغوية وضرب من ضروب الاشتقاق في لغتنا .وكأن بابن جني معنا ليستثمر حيرة بعض باحثينا المحدثين الناجمة عن غلو بعض الأقدمين حينا ،وتقصيرهم أو

---

[1] ينظر:الخصائص:538/1 .

[2] فقه اللغة العربية وخصائصها:205-206 .

[3] فقه اللغة:حاتم صالح الضامن،84.

[4] دراسات في فقه اللغة:210.

[5] من أسرار اللغة:75 .

[6] الاشتقاق :فؤاد ترزي،345-346.

نخليهم عن الدقة أحيانا أخرى،فيقول في آخر باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني":«وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة ،وإنما بقي من يثيره ويبحث عن مكنونه ،بل من إذا أوضح له وكشفت عنده حقيقته طاع طبعه لها فوعاها وتقبلها.وهيهات ذلك مطلبا ،وعز فيها مذهبا!وقد قال أبو بكر:من عرف ألِف ،ومن جهِلَ استوحش »[1].

2-5/الاشتقاق الكبّار أو النحت:

الاشتقاق الكبار تسمية أطلقها بعض المحدثين على النحت.وهذا الأخير في اللغة هو النشر والقشر والبري والقطع.والنحت «كلمة تدل على نجر الشيء وتسويته بحديدة»[2].

وقال ابن منظور :«النَّحْتُ النَّشْرُ والقَشْر والنَّحْتُ نَحْتُ النَّجَّارِ الخَشَبَ نَحَت الخشبةَ ونحوَها يَنْحِتُها ويَنْحَتُها نَحْتاً فانْتَحَتَت... ونَحَتَ الجبلَ يَنْحِتُه قَطَعَه...ونَحَتَه يَنْحِتُه بالكسر نَحْتاً أَي بَراه .ونَحَتَه بلسانه يَنْحِتُه ويَنْحَتُهُ نَحْتاً لامه وشَتَمه والنَّحِيتُ الرَّديءُ من كل شيء ونَحَته بالعصا يَنْحِتُه نَحْتاً ضَرَبه بها ... »[3]

من خلال هذين النصين يتبن لنا أن في النحت معنى الاختزال والاختصار ،ليس هذا فحسب إنما هو تسوية ،وتنسيق وبناء تتبعه عملية الاختزال والنقص.ولعل ما يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾[4]، وقوله تعالى أيضا :﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى أيضا : ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[6] .

فالنحت هنا قطع للحجارة ثم تسوية وتشذيب ينتقصها من أطرافها ،ثم تنسيق فبناء.وهذه العملية تؤول إلى نتيجة طبيعية ؛إذ أنها تنتهي إلى خلق جديد.ومن هنا يمكن القول أن المعنى اللغوي لهذه المادة يدل على الحذف والإنقاص والاختصار .

أما في الاصطلاح فهو: « استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر »[7]. أو هو« أن ينتزع من كلمتين

---

[1] الخصائص:145/2.

[2] مقاييس اللغة :(نحت).

[3] لسان العرب: (نحت).

[4] الأعراف:74 .

[5] الشعراء:149 .

[6] الحجر:82 .

[7] ينظر: من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ص86.

أو أكثر كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعته منه. وتكون الكلمة إما اسما كالبسملة (من قولك باسم الله) ،أو فعلا كحمدل (من قولك الحمد لله)، أو حرفا كإنما(من"إن"و"ما") أو مختلطة كعمّا (من "عن" و"ما").ولا بد لها في الحالتين الأوليين أن تجري وفق الأوزان العربية ،ومن أن تخضع لما تخضع له هذه الأوزان من تصاريف »[1].ومعنى ذلك: أن يُعْمَدَ إلى كلمتين فأكثر، فيُجْعَلَ منهما كلمة واحدة تعبر عن الكلمتين.

والنحت إذن يجمع بين كلمتين أو أكثر متباينتين معنى وصورة.ولا ضير في اتفاقهما في بعض الحروف مادام حرف واحد بينهما مختلفا ،ولا بأس في تقاربهما في المعنى شريطة أن يكون بين المعنيين التقاربين فرق ملموح مهما يكن ضئيلا دقيقا.

3/موقف الباحثين منه:

انقسم الباحثون في مسألة نسبة النحت إلى الاشتقاق على ثلاثة أقسام:

الأول:يؤكد أن مراعاة معنى الاشتقاق تنصر جعل النحت نوعا منه، ففي كل منهما توليد شيء من شيء،وفي كل منهما فرع واصل ،ولا يتمثل الفرع بينهما إلا في اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر على طريقة النحت،واشتقاق كلمة من كلمة في قياس التصريف لذا سمي بالاشتقاق الكبّار[2].

الثاني:يذهب إلى أن النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي ،لذلك لا يصح أن يعد قسما من الاشتقاق فيها،وحجته أن لغوينا المتقدمين لم يعدوه من ضروب الاشتقاق ،إذ أهمله ابن جني في بحوثه ،ولم يذكره السيوطي في الباب الذي خصّه للاشتقاق ،بل افرد له بابا خاصا ،وأنه يكون في نزع كلمة من كلمة،زد على ذلك أن غاية الاشتقاق استحضار معنى جديد،أما غاية النحت فالاختصار ليس إلا[3].

الثالث:توسط فعد النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل[4]

4/أنـــــــواعــه :

لا يختص النحت بقسم من أقسام الكلام بعينه وإنما هو مشترك بين الأفعال، والأسماء والصفات سواء أكان النحت لفظيا قائما على اختصار كلمة من كلمتين أو أكثر ،أم كان حرفيا مبنيا على زيادة حرف في صدر اللفظ المنحوت،أو في وسطه (ما بين الحرف الأول والثالث) ،أو في آخره.

---

[1] الاشتقاق:فؤاد ترزي:351-352.

[2] دراسات في فقه اللغة:243.

[3] فقه اللغة وخصائص العربية:148-149.

[4] فقه اللغة:حاتم صالح الضامن:88.

ولتكون دراستنا علمية واضحة ،اخترنا تقسيم أنواع النحت الواردة عند ابن فارس وغيره إلى ما يلي:

4-1/ **النحت النسبي:**النسبة في القاعدة العامة هي إلحاق آخر الاسم ياء مشددة للدلالة على نسبة شيء إليه،وحكمها أن يكسر ما قبل الياء للمناسبة.والنحت النسبي هو تركيب صيغة نسبية من اسمين مركبين تركيبا إضافيا بشرط أن لايؤخذ من كل واحد منهما سوى حرفين اثنين ليكون مجموع حروف النسبة خمسة ،ومن أمثلة هذا النوع :عبدريّ نسبة إلى عبد الدار، وعبشميّ نسبة إلى عبد شمس، وعبقسيّ نسبة إلى عبد القيس، ومرقسيّ نسبة إلى امرئ القيس، وتيمليّ: نسبة إلى تيم الله،وعبد ليّ نسبة إلى عبد الله.

4-2/**النحت الجملي:**نقصد به النحت الحاصل من جملة كاملة اسمية كانت أم فعلية.وهي طريقة استعملها القدماء لاختصار المركبين الاسمي والفعلي إلى كلمة واحدة تحل محلهما وتدل على ما يدلان عليه.والكلمة المنحوتة يكون فعلها على وزن (فَعْلَل) ومصدرها على وزن(فَعْلَلَة) نحو:بسمل والبسملة من قولك:باسم الله الرحمن الرحيم،وحوقل والحوقلة من(لا حول ولا قوة إلا بالله)،جعفل والجعفلة من(جعلت فداك)،سبحل والسبحلة من(سبحان الله)،دمعز والدمعزة من(أدام الله عزك)،وسمعل والسمعلة من(السلام عليكم)،حسبل والحسبلة من(حسبي الله)،مشأل والمشألة من(ما شاء الله)...

4-3/**النحت الاسمي:**يجيء النحت الاسمي على ضربين :أحدهما أن تنزع كلمة من كلمتين على نحو طائر البرقش المختزل اسمه من البرش بمعنى التبقيع والرقش بمعنى النقش،والجذمور المنحوت من الجذم والجذر،وبلحارث المنحوت من بني الحارث .وثانيهما أن يزاد حرف في الاسم كزيادة الحرف الأول في برقع (اسم سماء الدنيا)من رقع والباء زائدة،وزيادة الحرف الثاني في برشاع (أي من لافؤاد له) من بشع والراء زائدة،وزيادة الحرف الثالث في دغاول(مرادف غوائل) من دغل والواو زائدة ،وكذا زيادة الحرف الرابع في بلعوم (وهو مجرى الطعام في الحلق) من بلع والميم زائدة.

4-4/**النحت الصفتي:**وهو على عدة صنوف:

أ/ نحت الصفة من لفظتين كالصُّقْعُب المنحوتة من الصقب بمعنى الطويل والصعب بمعنى الصعوبة،فحذفت الباء والصاد منهما وركبت الصفة من(صق+عب) ليدل بها على الرجل الطويل.

ب/ نحت الصفة من ثلاث كلمات كالكُرْدوس للخيل العظيمة؛وهي منحوتة من كرد بمعنى ساق،وكرس بمعنى جمع، وكدس بمعنى ركبت الخيل بعضها بعضا في سيرها.

ج/ نحت الصفة بزيادة حرف واحد تصديرا كالبِرْدس للرجل الخبيث (والباء زائدة)،أو حشوا كالجرعب للجافي (والراء زائدة) ،أو كسعا كالزُّرْقم للشديد الزرق(والميم زائدة).

د/ نحت الصفة بزيادة حرفين في الأول كالعنجرد للمرأة الجريئة السليطة من تجرد للشر (والعين والنون زائدتان)،أو في الوسط كالعنتريس للمرأة الداهية من عرس بالشيء إذا لازمه (والنون والتاء زائدتان) ،أو في الآخر كالخَلَبُوت للرجل الخداع من خلب أي خدع بلطيف الكلام(والواو والتاء زائدتان).

هـ/نحت الصفة المنحوتة بزيادة حرف فيها نحو:القِفَنْدر للئيم الفاحش ،وأصلها من القفر :الخلاء،والقفد:الذليل المهين،ونونها زائدة.

4-5/**النحت الفعلي:**لا يختلف النحت الفعلي عن الأسلوب المتبع في الأسماء والصفات .فقد ينحت فعل من فعلين صريحين كبَلْطَح الذي يجمع في كيانه بين بلط وبطح (بل+طح) وفي معناه اللصوق بالأرض والانبطاح عليها،وقد ينحت بزيادة حرف في أوله نحو:بَزْعَر إذ ساء خلق المرء(والباء زائدة)،أو في وسطه نحو:بَرْجَم إذا أغلظ في الكلام(والراء زائدة)،أو في آخره نحو:بَلْسَم إذا سكت عم فزع (والميم زائدة).

5/**أهم طرق النحت:** هناك طرق يتم من خلالها النحت، ومن أهمها ما يلي[1]:

أ/ إلصاق الكلمة بالأخرى دون تغيير شيء بالحروف والحركات، نحو: برمائي، واللاأدرية.

ب/ تغيير بعض الحركات دون الحروف نحو: شَقَّحْطَب، من: شق حطب.

ج/ إبقاء إحدى الكلمتين كما هي، واختزال الأخرى نحو: مُشلْوَز منحوت من المشمش واللوز، ومُحْبَرَم من: حب الرمان.

د/ إحداث اختزال متساوٍ في الكلمتين؛ فلا يدخل في الكلمة المنحوتة إلا حرفان من كلٍّ منهما، نحو: تَعَبْشَم من: عبد شمس.

هـ/ إحداث اختزال غير متساوٍ في الكلمتين، نحو: سبحل من قال: سبحان الله.

و/ حذف بعض الكلمات حذفاً تاماً دون أن تترك في الكلمة المنحوتة أي أثر، نحو: طَلْبَق _ أي أطال الله بقاءك _ وهيلل _ قال: لا إله إلا الله _ فإن لفظ الجلالة (الله) حذفت منه الكلمتين، ولم يبق لها أي أثر في الكلمتين المنحوتتين، وقد مر ذلك في الفقرة الماضية عند الحديث عن شروط النحت.

[1] ينظر :فقه اللغة د. إميل يعقوب ،ص213_214.

المحاضرة الحادي عشر:

المُعَرَّب في اللّغة العربية

1/ المعرب في اللغة و الاصطلاح:

المعرب في اللغة: اسم مفعول من الفعل عَرَّب، يعرِّب، والمصدر تعريباً. والمعَرَّب: هو الذي جُعِل عربياً.

أما في الاصطلاح فله تعريفات كثيرة عند القدامى والمحدثين ،سنحاول الإشارة إلى بعضها:

قال الجوهري في الصحاح: «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها» [1]. وقال أبو حيان الأندلسي : «العجمي عندنا كل ما نُقل إلى اللسان العربي من لسان غيره»[2]، و مما عرفه بهذا التعريف أيضا السيوطي بقوله: «هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».[3] أما مُحَمَّد علي التهاوني فيرى أن: «المعرب عند أهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الموضع»[4].والمعرب هو«إدخال اللفظ الأعجمي في العربية بعد تبديله وتهذيبه في لفظه ووزنه بما يناسب العربية»[5].هذه بعض التعريفات التي تدور حول المعرب وهناك تعريفات أخرى لكنها لا تخرج على فلك هذه التعريفات،لهذا ارتأيت أن أكتفي بهذه لأنه لا يمكنني إيرادها كلها هنا.

نلخص من هذه التعريفات إلى أن المعرب :هو اللفظ الأعجمي الذي يدخل اللغة العربية عن طريق الاحتكاك باللغات الأجنبية ،وقد تطرأ عليه تغيرات في الحذف والزيادة، وقد تبقى اللفظة الأجنبية على حالها من غير تغيير ،وتعامل معاملة المفردة العربية في إجراء مقاييس العربية عليها

وقد يلتبس مصطلح الدخيل أحيانا في أذهان بعض الدارسين بمصطلحي المعرّب والمولّد ،في حين أن لكل من هذه المصطلحات الثلاثة مدلولا مختلفا عن مدلول الآخر.

فالدخيل هو ما دخل على العربية من مفردات أعجمية في أي عصر من العصور ،سواء ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في عصور الاحتجاج ،وما استعمله المولدون بعد هذه العصور.والعرب الفصحاء عند المحدثين ،هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن

1_ الصحاح 271/1.

[2] الاقتراح في أصول النحو وجدله:146 .

3_ المزهر 68/1.

[4] كشاف اصطلاح الفنون والعلوم:مُحَمَّد علي التهاوني،تح:علي دحروج،مكتبة لبنان،ناشرون،ط1996/1 ،1582/2. .

[5] خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد:مُحَمَّد المبارك،ص42.

الثاني هجري،تلك إذا هي عصور الاحتجاج باللغة.

أما المولدون فهم من عاشوا بعد هذه العصور، ولو كانوا من أصل عربي.والمعرّب في اصطلاح الباحثين هو ذلك الدخيل الأعجمي الذي استعمله فصحاء العرب.وأما "الأعجمي المولد" فهو ما استعمله المولّدون من مفردات أعجمية لم يعربها فصحاء العرب[1] .

وحتى لا يلتبس الأمر علي أكثر سأحاول أن أدرس المعرب والدخيل في محاضرة واحدة، على أن أتنا ول المولد في محاضرة خاصة.

يقول د. علي عبد الواحد وافي في معرض حديث له عن الدخيل في اللغة العربية: «الدخيل الأجنبي، المعرب، والمولد:

يراد بالدخيل الأجنبي ما دخل العربية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين.وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري _ ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج...وأن المولدين هم من عدا هؤلاء ولو كانوا من أصول عربية.ويطلق على القسم الأول من الدخيل الأجنبي وهو ما استعمله فصحاء العرب اسم (المعرب) وعلى القسم الثاني منه وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعرِبْها[2] فصحاء العرب اسم (الأعجمي المولد) »[3].

وقد بدأ الدخيل يشيع معربا في لغتنا منذ الجاهلية وافدا من الأمم التي جاورت أمتنا العربية أو اتصلت بها من فرص ،وروم،وأحباش،ونبط،وسريان،وهنود،وغيرهم.فعرب الجاهليون عن الفارسية ألفاظا كالدولاب، و الدسكرة ، والكعك ....كما سيأتي في هذا البحث .

2/المعرب في القرآن الكريم:

اختلف العلماء في وقوع المعرب في القرآن الكريم ،فمنهم من يمنع وقوعه في القرآن ،وآخر يرى أنه واقع ،وثالث جمع بين الفريقين .

2-1/الفريق الأول: القائلين بالمنع:

نقل السيوطي عن الجمهور إنكارهم وقوع شيء في القرآن بغير لغة العرب ومنهم الإمام الشافعي، وأبي

---

[1] ينظر:فقه اللغة مسالكه ومناهجه:320.

2 هكذا جاءت ولعلها: يعرفها.

3_فقه اللغة :د. وافي ،ص153.

عبيدة، وابن فارس وغيرهم ــ رحمهم الله ــ وقد استدلوا على المنع بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾[1] ،وقوله أيضا: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ﴾[2].وقد شدد الشافعي «النكير على القائل بذلك» [3].

ومن الذين أنكروا وقوع المعرب أبو عبيدة معمر بن المثنى،فقد روي أنه قال:«إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين؛ فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول» [4].

وقال ابن فارس معلقاً على قول أبي عبيدة:«فإن قال قائل فما تأويل قول أبي عبيدة فقد أعظم وأكبر؟.

قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه» [(5)].

وقال آخرون: «كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة، وقد خفي على ابن عباس معنى (فاطر) و(فاتح) » [(6)].

ولقد اتضح للعلماء أنه لا يقع المعرب في القرآن الكريم إلا في مجالين اثنين هما:الأعلام كأسماء كثيرة من الأنبياء ،وكفرعون،وهامان،وكمدين وما إلى ذلك. وأسماء أشياء لم تكن في أرض العرب ،أو مسميات لم يكن لهم بها عهد كالزنجبيل والإستبرق والسندس ونحوها.

أما القول بأن القرآن الكريم فيه كلمات من كل لسان فمجانب للصواب؛إذ الحكمة تقتضي أن يكون الكلام بلغة المخاطب ،وقد أكد الله سبحانه هذا المبدأ بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [7].ولو كان الأمر كما قالوا لتحول القرآن الكريم إلى كتاب ألغاز .وما فائدة إنزال كتاب لا يفهمه المخاطب إلا إذا عرف عشرات اللغات.

2-2/الفريق الثاني: القائلين بوقوعه:

وقد استدلوا على ذلك ــ كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام ــ بما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة: إنها بلغات العجم، ومنها قولهم: طه،

---

[1] يوسف:2 .

[2] فصلت:44 .

3 الإتقان 105/2

4 الإتقان 105/2.

5 الصاحبي ص33.

6 الإتقان 105/2_106.

[7] إبراهيم:4 .

واليم، والطور، والربانيون فيقال: إنها بالسريانية. والصراط، والقسطاس، والفردوس يقال: إنها بالرومية. ومشكاة، وكِفْلَينِ يقال: إنها بالحبشية. وهيت لك إنها بالحورانية؛ فهذا قول أهل العلم من الفقهاء[1].

وأجاب المجيزون لوقوع المعَرَّب عن قوله تعالى :﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، وأن القصيدة بالفارسية لا تخرج عنها بلفظة عربية تكون فيها.

وأجابوا عن قوله _ تعالى _:﴿ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ بأن المعنى من السياق :أكلام أعجمي ومخاطب عربي!.واستدلوا أيضا بما اتفق به النحاة على أن منع صرف ،نحو:إبراهيم للعلمية والعجمة.وروى ابن جبير عن أبي ميسرة التابعي الجليل ،أنه قال: «في القرآن من كل لسان»[2] .

فالحكمة من وقوع هذه الألفاظ في القرآن الكريم أنه حوى علوم الأولين والآخرين،ونبأ كل شيء،فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ؛لتتم إحاطته بكل شيء،فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب.

2-3/الفريق الثالث: التوفيق بين الرأيين والجمع بين القولين:

لقد ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام مذهبا وسطا ؛إذ يستصوب الرأيين كليهما:رأي القائلين بالإنكار ،ورأي القائلين بالإثبات. وذلك في قوله: «والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب؛ فعرَّبتها بألسنتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها؛ فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق»[3].

ومال إلى هذا القول الجواليقي، وابن الجوزي وغيرها. يقول الجواليقي: «وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرَّبته؛ فصار عربياً بتعريبها؛ فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل؛ فهذا القول يصدِّق الفريقين جميعاً»[4].

ولعل هذا الرأي هو الأقرب للصواب؛ فمن قال في كلمة سرادق _على سبيل المثال_: إنها فارسية؛ بمعنى أنها انحدرت إلى العرب من الفرس فهو مصيب، ومن قال: إنها عربية؛ بمعنى أن العرب كانت تعرفها، وتستعملها قبل نزول القرآنِ الكريمِ، والقرآنُ نزل بلغة تفهمها العرب _ فهو مصيب كذلك.

1_ المزهر 268/2

[2] الاتقان في علوم القرآن :937/3 .

3_ الإتقان 108/2 وانظر المعرب للجواليقي ص6.

4_ المعرب ص6.

إن وقوع المعرب في القرآن الكريم لا ينتقص من عربيته ،ولا يلحق به صفة العجمة كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] ،فأنزل القرآن بلغة يفهمها العرب ويستعملونها ،وما وقع فيه من المعرب إنما هو جزء من هذه اللغة التي فهموها واستعملوها .خضع لقواعدها صوتا،ووزنا،و إعرابا،واستقر فيها مؤلوفا مكتسبا عروبتها ،شاهدا في الوقت نفسه على حيويتها،وانفتاحها ،وقدرتها على التواصل والنماء.

3/طريقة معرفة المعرب:

لأئمة اللغة الفضل في وضعهم عدة مقاييس عملية لمعرفة الدخيل من الأصيل ، وهي:

1_ النقل: وذلك بأن ينقل عن أحد أئمة العربية كالأصمعي أو غيره بأن هذه الكلمة ليست عربية.

2_ مخالفة الكلمة للأوزان العربية: وذلك بأن يخرج الاسم عن أوزان الأسماء العربية، نحو إبْرِيسم؛ فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي.

3_ أن يكون أوله نون ثم راء: نحو: نرجس؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية، وكذلك (نرس) و (نورج) و (نرسيان) و (نَرْجه).

4_ أن يكون آخره زاياً بعد دال: نحو: مهندز؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

5_ أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم: نحو: الصولجان، والجص، والصنجق.

6_ أن يجتمع في الكلمة الجيم والقاف: نحو: المنجنيق.

7_ خلو الكلمة الرباعية أو الخماسية من أحرف الذلاقة: وسميت بذلك _ كما مر في الحديث عن صفات الحروف ومخارجها _ لخروج بعضها من ذلق اللسان _ أي طرفه _ وخروج بعضها من ذلق الشفة.

وهي مجموعة في قولك: (مُرَّ بنفل) ؛ فإنه متى كان اللفظ عربياً فلا بد أن يكون فيه شيء منها نحو: سفرجل، وقُذعمل، وقِرْطَعْب، وجَحْمَرش؛ فإذا جاءك مثال خماسي، أو رباعي بغير حرف أو حرفين من أحرف الذلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم _ أي العرب _ مثل: (عفجش) و (خظائج).

8_ اجتماع الباء، والتاء، والسين: مثل: بستان.

9_ اجتماع الجيم والطاء: نحو: الطاجن، والطيجن.

10_ يندر اجتماع الراء مع اللام إلا في ألفاظ محصورة: مثل: ورل.

[1] فصلت:44.

11_ لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليل: ولذلك أبى البصريون أن يقال بغداذ.

12_ مجيء الشين بعد اللام: قال ابن سيدة في المحكم: ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة؛ الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات.

13_ الدراسات التاريخية والبحوث العلمية: فبذلك يمكن القول: إن هذا الحيوان، أو النبات، أو الدواء ليس موجوداً في جزيرة العرب، وبذلك نعرف أن الكلمة ليست بعربية.

هذا وقد وجد الباحثون بعد الاستقصاء أن أكثر ما دخل العربية من أسماء المعبودات والمصطلحات فهو من الهيروغليفية، والحبشية، والعبرانية، وذلك كألفاظ الحج، والكاهن، وعاشوراء من العبرانية.

وأما أسماء العقاقير والأطياب فأكثرها هندي كالمسك؛ فإنه في اللغة السنسكيرتية (مشكا) والزنجبيل فهو فيها (زنجابير).

وأكثر ما يكون من أسماء الأطعمة والثياب والفرش، والأسلحة، والأدوات، والملابس، والأواني فهو من الفارسية.

4/دوافع التعريب:

أشار بعض العلماء إلى ذلك دون ذكر مباشر له، وذلك كصنيع السيوطي في المزهر[1]. ومن خلال ذلك يمكن أن تُتلمس الأسباب التي دفعت العرب إلى التعريب، والتي منها:

1/ الحاجة أو الضرورة: وذلك كالأسماء التي تفرَّد بها غير العرب كالفرس من دون العرب؛ فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي. وذلك كثير، ومن أمثلته ما يلي:

أ _ **من الأواني:** الكوز، الجرة، الإبريق، الطشت، الخوان، الطبق، القصعة، السُّكُرجَّة.

ب _ **من الملابس:** السَّمُّور، السنجاب، القاتم، الفنك، الدَّلق، الخز، الديباج، السندس.

ج _ **من الجواهر:** الياقوت، الفيروزج، البلَّور.

د _ **من ألوان الخبز:** الكعك، الجردق، السميذ، أوالسميد.

هـ _ **من الرياحين وما يناسبها:** النرجس، البنفسج، النِّسرين، الياسمين.

و _ **من الطيب:** المسك، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل.

2_ الإلغاز والإغراب: قال السيوطي: =قال ابن دريد في الجمهرة: باب ما تكلمت به العرب من كلام

1_ انظر المزهر 1/275_285، وانظر فقه اللغة د. وافي ص154_160.

العجم حتى صار كاللغز، وفي نسخة حتى صار كاللغة+[1].

ثم ساق لذلك أمثلة، منها: الدَّشت: وهي الصحراء، والبُوصي: السفينة، والأرندَح: الجلود التي تدبغ بالعفْص، والقيروانُ: الجماعة، وأصلها كاروان[2].

3_ الإعجاب وخفة اللفظ الأعجمي: وذلك بأن يعجب العرب بلفظة أعجمية، ثم يعمدون إلى تعريبها. وربما كان اللفظ الأعجمي خفيفاً؛ فلهذا يستعمله العرب، وربما تناسوا اللفظة العربية أو أهملوها.

مثل: الباذنجان كان يسمى الحدج، ومع ذلك غلب؛ للإعجاب بما هو غريب.

وكذلك اللوبيا شاعت وأهمل: الدّجَر.

وكذلك الإبريق في لغة العرب يسمى التأمورة.

والتوت يسمى: الفُرصاد، والأترج يسمى: المتْك، والياسمين كان يسمى بالعربية: السَّمسق.

1_ المزهر 279.

2_ انظر المزهر 279/1.

المحاضرة الثانية عشر:

الدخيل في اللغة العربية

1/الدخيل لغة:

الّدخيل لغة هو الّدخيل بين القوم أي ليس من نسبهم بل هو نزيل ومنه قيل هذا الفرع دخيل في الباب ومعناه أّنه استطرادا ومناسبة ولا يشتمل عليه عقد الباب [1]، والّدخيل والّدخلل، كقنفذ ودرهم :المدخل والمباطن وّدخل الحبّ، ودخلله والّدخل حركة ما داخلك من فساد في عقل أو جسم، ودخل كفرح وعني، دخْلا وَدخَلا الغدر والمكر والدَّاء والخديعة، والعيب في الحسب والشجر الملتف، والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم[2] .

وفي الصِّحاح : «دخيل الّرجل :الذّي يداخله في أموره ويختص به وفلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم، والأنثى دخيل والّدخيل :الضّيف والّنزيل لدخوله على المضيف وأّما قوله :همان باتا جبنة ودخيلاً »[3]، « والّدخيل :والّدخلل كله :المداخل المباطن. وقيل :بينهما دخلل ودخلل أي خاص يداخلهم؛ قال بن سيدة :ولا أعرف هذا .وداخل الحب ودخلله، بفتح اللام :صفاء داخله .ودخله أمره ودخيله وداخلته : بطانته الّداخلة .ويقال :إّنه عالم بدخله أمره وبدخيل أمرهم»[4] .

الدخيل من الفعل دخل :الدُّخول :نقيض الخروج، دخل يدخل دخولا وتدخل ودخل به المدخل بالفتح (الدخول أيضا تقول :دخلت مدخلا حسناً، ودخلت مدخل صدق والمدخل بضم الميم :الإدخال والمفعول من أدخله تقول :أدخلته مدخل صدق.[5]

2/الدخيل في الاصطلاح:

«فهو الكلام الأعجمي الذي دخل العربية وتركه العرب على صورته»[6] و يعرف الّدخيل بأّنه" لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة من عصور العرب الخُلص الذّين يحتج بلسانهم[7].الّدخيل هو "اللفّظ الأجنبي ا لذّي دخل العرّبية دون تغير.يقول ابن دريد: «كلمة دخيل أدخلت في كلام العرب

---

[1] المصباح المنير:دخل

[2] القاموس المحيط:دخل.

[3] الصحاح:دخل.

[4] لسان العرب:دخل.

[5] لسان العرب:صدق.

[6] دلالة الألفاظ:ابراهيم أنيس،القاهرة،ط1958/1،ص:149.

[7]

وليست منه»[1] والّدخيل هو الأعجمِيُّ ولا فرق كبرًا بينهم، فهي تسمية مسوغة يمكن توجيهها لأنّ الأعجمِيُّ في عرف القدماء ضد العرَبِيّ، أو كلّ ما ليس بعربي سمي الأعجم بذلك، لأّنه لا يفصح و لا يبين في كلامه كل من لا يقدر على الكلام أصلا فهو عندهم أعجم والعربِيّ الذي يعرب عنها في نفسه والّدخيل أعجمي الأصل أينما حال صدر ابتداء عن أولئك الأَعاجم.

3/فائدة الدخيل وأقوال العلماء فيه:

لقد كان من بين العوامل التي أدت إلى انتقال الدخيل إلى العربية، حاجة العرب للفظ المعبر عن معنى معين ليس في العربية ما يدل عليه .وليس خفيا أن هذا العامل لا يستقل بنفسه، بل يأتي غالبا علة لتأثير عوامل أخرى على اللغة، كالتي تقدم ذكرها فمتى حدث الاحتكاك بين اللغتين بأحد هذه العوامل كانت الحاجة في كثير من الأحيان علة لأخذ إحدى اللغتين ببعض ألفاظ الأخرى، ولكنا مع ذلك أثرنا إفراده بالحديث تجاوزا ، لكونه أشبه "العامل المشترك" بين غيره من العوامل، ولارتباطه بمسألة ذات خطر في قضية الدخيل في اللغة العربية، وهي مسألة التعريب لغير حاجة لغوية .يقول ابن سيدة عن صاحب العين: «وطير الماء أكثر من مائتي لون زعموا والعرب لا تعرف أكثرها .قال :وأسماؤها عندنا بالنبطية لأنها في البطائح في بلاد النبط»[2] وذلك نص صريح على أنّ العرب إنّما استعملوا تلك الأسماء لحاجة لغتهم إليها، إذ حملت تلك الطيور أسماءها من مواطن لغة النبط لا العرب .وقال ابن دريد «والدينار إذا كان معربا فليس له اسم غير الدينار فقد صار كالعربي ولذلك ذكره الله في كتابه لأنه خاطبهم بما عرفوا»[3] وقد وردت في قوله تعالى : ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾[4].

قال ابن دريد: « ليس في كلام العرب (ج ر م ن) إلا ما اشتق من مرجان ولم أسمع له بفعل متصرف، ذكر بعض أهل اللغة أنه معرب وأحرى به أن يكون كذلك»[5].وقريب من هذا الرأي يقول الخفاجي: «فإذا اعتبرنا الاستقراء أساسا لأحكامهم، أ رينا من كثرة أمثلة الخروج على تلك الأحكام ما يدل على نقص

---

[1] الجمهرة:471/13.

[2] المخصص:153/8.

[3] المعرب:الجواليقي،39.

[4] آل عمرات:75.

[5] الجمهرة:324/3.

استقرائهم، فقد قالوا إنّ الصاد والجيم قد اجتمعتا في كلمة عربية هي"صمج" للقنديل»[1]، وقد رد الأزهري على من أنكر ذلك بقوله" :الصاد والجيم مستعملان، ومنه جصص الجرو إذا فتح عينيه، وجصص فلان إناءه إذا ملأه والصيج ضرب الحديد بالحديد، وقالوا إن الراء تجتمع مع اللام في حالات نادرة»[2] ، وقالوا: « إنّ الجيم والقاف اجتمعتا عند العرب في خمس أو ست كلمات»[3] وكل ذلك يدل على عدم أنهم صدروا في تلك القواعد والأحكام من استق ا رء ناقص يحمل عدم التسليم بها، أو على الأقل يجعلها موضع شك وعدم يقين ولهذا السبب قال الدكتور إبراهيم أنيس بعد ذكره لبعض الأحكام القائمة على اجتماع الحروف من إشارات سريعة: «أظن أنها كانت نتيجة استقراء كاف لنسج الكلمة العربية وتركيب أصلها»[4]يضاف إلى قول السيوطي:« والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب وهم قيس، وتميم وأسد، فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليه اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ... الخ»[5] فإن الذي نعده دخيلا لاشتماله على الحروف المذكورة مجتمعه كالصاد والجيم ونحوها، لعدم وجود نظير لها بالعربية، ربما كان نظيره في الصحيح المهمل من لغات هذه القبائل كثيرا.

أما إذا اعتبرنا الناحية الصوتية أساسا لتلك الأحكام، معنى ذلك قد اعتمدوا في الأحكام على ما لاحظوه من نظام العرب في تركيب أصوات الكلمة للألفاظ الذي يقضي بعدم اجتماع تلك التي ذكروها في الكلمة الواحدة إلاّ شذوذا في خمس كلمات أو ست .وكذلك قالوا: «إنّ "الصراط" صاده بدل من السين وليستا لغتين كما أظن»[6].

إنّ كثيرا من علماء اللغة قد حاول منذ القدم إحصاء الصيغ والأوزان التي تأتي على مثالها الأسماء والأفعال بغرض حصر الأبنية التى تأتي عليها الألفاظ العربية الفصيحة، فلم يوقفوا هذا الحصر، بل أن كلا منهم فات عليه بعض الأوزان، و استدرك بعض المحدثين شيئا عن الأوزان التي أغفلها الصرفيون وعلماء

---

[1] شفاء الغليل:324.

[2] شفاء الغليل:29.

[3] المزهر:272/1

[4] من أسرار اللغة:111.

[5] المزهر:211/1.

[6] شفاء الغليل:29.

اللغة، ويقول صبحي الصالح: «ولكن اللغويين العرب حين ألفوا الكتب في المعرب والدخيل لم يحسنوا دائماً التمييز بين العربي والعجمي، كثيرا ما نفوا أعجمية لفظ؛ لأن القرآن نزل به،وليس في القرآن عندهم دخيل» [1] .

أما التعريف الذي لم يفرق بين المعرب والّدخيل فإنا نراه في قوله، تعريب الاسم الأعجمي :أن تتفوه به العرب على مناهجها[2]، ويبدو أن الجواليقي لا يفرق بينهما إذ ينسب إليه السيوطي قوله" :ويطلق على المعرب دخيل[3]، فالخفاجي مع تمييزه بين المعرب والمولد في كتابه :شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل، ونجده يطلق الدخيل على كليهما، ويدل على ذلك عنوان كتابه، وقوله في مقدمته :« وهذا كتاب جليل جمعت فيه ما في كلام العرب من الدخيل» وهو في الجملة ما كان يفرق بين " الدخيل" وغيره من الاصطلاحات، فقد استعمل اصطلاح "الدخيل" كثيراً في كتابه[4]، لكنه ما كان يختص به ما لم يتغير من الأعجمي بل كان يطلقه على ما تغير، كقوله"الجرم :دخيل معرب كرسطل ويقال سيطل قال الزبيدي صوابه سيطل وقيل هو دخيل معرب [5]،فلا فرق عنده بين الدخيل والمعرب .

والظاهر أنّ العلماء عامة استعمالهم للاصطلاحيين "معرب وأعجمي دخيل" اللذين يشعرانك بالتغيير بين نوعين مختلفين ما كان يفرقون بين مصطلحي"الدخيل والمعرب" حتى عهد الجواليقي ثم الخفاجي، فتبعهم ابن دريد، كان يصف كثيراً من الألفاظ بأنها دخيلة[6] . إنّ هذا أداء دقيق للمصطلحات ووضع فرق واضح بينهما يراعي المعيارين فيما يطلق عليه مصطلح معرب أو دخيل:

– المعيار الزمني أي يراعى زمن الاحتجاج والاستشهاد.

– المعيار اللغوي أي مراعاة للتغيير الصوتي وغيره أي نطق الكلمة الأعجمية المعربة على منهاج العرب؛ لأن في هذا المعيار مراعاة للربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتعريب باعتبار التغيرات بجعله مفصحا ومبينا عن المعنى الجديد وباعتبار التعريب احد الطرق التي تنمو بها اللغة وتزداد ثروتها غنى.

---

[1] دراسات في فقه اللغة:383.

[2] دراسات في فقه اللغة:370.

[3] المزهر:269/1.

[4] شفاء الغليل:11.

[5] شفاء الغليل، *سطل :السيل الطسيسة الصغيرة، يقال أنه على صفة تدر له عروة كعروة المرجل،(والساطل من الغبار المرتفع، ابن منظور، لسان العرب، مادة سطل.

[6] الجمهرة:14/2.

المحاضرة الثالثة عشر :

المولد في اللغة العربية

قبل الولوج في هذا الموضوع لابد علينا الوقوف على مفهومه في اللغة والاصطلاح.

1/ المولد في اللغة :

المولد في اللغة اسم مفعول ولّد يولّد الشيء من الشيء إذا أنشأه منه،وولد الكلام أو الحديث إذا استحدثه...و المولودة التي ولدت بأرض وليس بها إلاّ أبوها أو أمها[1].و هو اللفظ الذي تم تعريبه بعد عصور الاحتجاج عرّفه الجوهري" :عربية مولدة ورجل مولد إذا كان عربياً غير محض[2]؛ أي إذا كان قد ولد بين العرب وهو ليس منهم، ونحو ذلك قال الزبيدي، ومن هنا قالوا :التوليد التربية...[3] ، ثم تعرفوا في معنى اللفظ فقالوا بنية مولودة غير محققة، وكتاب مفتعل، وشاعر مولد، أي محدث .ومن ثم قالوا :«كلام مولد وحديث مولد أي ليس من أصل لغتهم إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما معناه» [4]

2/المولد في الاصطلاح:

وفي العرف يطلق المولّد على المستحدث من كل شيء ولا سيما على الألفاظ التي أحدثها المولّدون.

والمولّد ليس فصيحا كالمصنوع ولا يحتج به في اللغة لحدوثه وخروجه على الأصيل.

ومهما قيل في المولّد ،فإن ظهوره في العربية كان من عوامل استمرار تطورها الطبيعي .ذلك أن لكل زمان مستحدثاته وابتكاراته حتى اللغوية منها ؛ولا يمكن للإنسان الذي عاش في أيام الإسلام المجيدة أن يعبر بما كان يعبر به الجاهلي المطبوع على الحياة البدوية ،لتأدية معاني العصر الجديدة.

ولم يحل جحود اللغويين للمولّد دون ذكره في الكتب كالجمهرة لابن دريد،وأمالي ثعلب،وفقه اللغة للثعالبي،وأمالي الزجاج،والكامل للمبرد،والصحاح للجوهري،والقاموس المحيط للفيروز أبادي،وأدب الكاتب لابن قتيبة،وتهذيب الإصلاح للتبريزي ،.....

3/**أمثلة المولد** من أمثلة المولد الشائعة، الحُسْبان: السهام الصغار، النّحْرير: الحاذق الماهر، والقاقُزَّة:القازوزة ،والطَّنْز:السخرية ،والمجانس:المشاكل ،وأخٌ:كلمة تقال عند التأوه ،والكابوس: ما يزعج النائم ،

[1] لسان العرب:(ولد).

[2] الصحاح:الجوهري،(ولد).

[3] تاج العروس:الزبيدي،(ولد).

[4] نفسه.

والطَّرَش:أهون الصم ،والفطرة: صدقة الفطر ،والتشويش :التهويش ،وستِّي :سيدتي ،والجبرية :خلاف القدرية ،و الحوائج: جمع حاجة ،والطفيلي :المتطفل ،والزبون :الغبي والحريف ،وتبغدد :اعتزى بغداد ، والشاشية: القلنسوة ،وبَس :مكان حسب ،وخمَّن :قال بالحدس ،والفشَّار :الهذيان ،والحذلقة: الحذق والتفرج[1].

وقد ذهب أبو العباس ثعلب في أماليه إلى أن «كل لفظ كان عربي الأصل ثم غيرته العامة بهمز ،أو تركه،أو تسكين ،أو تحريك ،أو نحو ذلك ؛مولّد »[2] .فاتسع بذلك مفهوم المولد وعدّ اللغويون كل ما لحنت فيه العامة وغيّرت هيئته مولّدا، والتغيير جار دائما على ألسنة العامة كترك الهمز في :راس(رأس)، أو إبداله في :واسيته (آسيته)، وهمز مالا يهمز في :أعزب (عَزَب) ،وتخفيف المشدد في : الباري(الباريّ) ،وتشديد المخفف في: الكراهيّة(الكراهية) ،وتحريك الساكن في :وعَر (وعْر)، وتسكين المتحرك في: التخْمة (التخَمة) ،وكسر المفتوح في: الدِّرهم (الدَّرهم) ،وفتح المكسور في:الدَّهليز(الدِّهليز)، وضم المفتوح في: القُبول (القَبول)،وإبدال حرف بحرف في: نعق الغراب(نغق)، ووضع اللفظ في غير موضعه في قولهم:خرجنا نتنزّه (والتنزّه معناه التباعد عن المياه والأرياف) والوقوع في اللحن.

ومن باب الإنصاف للمولّد ،فإن عامل التغيير لا يشكل ضابطا موضوعيا لتمييز المولّد من العامي الذي هو أدنى مرتبة وأكثر لحنا وفسادا في اللسان،ولو كان الأمر كذلك لصحّ اعتبار كل اللهجات العامية المعاصرة من قبيل المولد لما فيها من كثرة التغيير ،بالمقارنة مع الفصحى ،وشيوع اللحن والأخطاء اللغوية.

4/طرق التوليد:

هناك ثلاثة طرق ذكرها عبد القادر مصطفى المغربي في كتابه " الاشتقاق والتعريب " وهي:

1- **طريقة الاشتقاق** :وهو أن ينقل المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ولكنهم لم يعرفوا المذكورة ولم يشتقوها مثال ذلك " الفسقية " للحوض الصغير له أنبوبة في وسطه ينبثق عنها الماء وقد اشتق لها هذا الاسم من مادة فسق وهو في اللغة بمعنى الخروج ويمكننا أن نقيس عليها كلمة بيّارة مثلاً التي تطلق في فلسطين على بستان البرتقال واشتقاقها من البئر، وكذلك الأنانية والعلمانية والهوية وغيرها[3].

[1] ينظر:المزهر:1/304-3021.

[2] المزهر:1/311 .

[3] فقه اللغة:علي عبد الواحد،145.

2-طريقة التعريب :هو أن ينقل المولدون إلى لغتهم العربية كلمة من لغة أعجمية لم يكن يعرفها العرب من قبل، مثال ذلك كلمة ماهية التي يراد بها المرتب الذي يتناوله الموظف في آخر الشهر، وهي هذا النهج بكثير من الألفاظ أو المصادر الصناعية ذات الأصول الأجنبية كالديمقراطية والدكتاتورية والبيروقراطية وغيرها.

3-الاستعمال التشبيهي :هو ما استعمله المولدون عن طريق التشبيه والكتابة لأنه لم يشتق من مادة لغوية اشتقاقاً ولم ينقل عن أصل أعجمي، إنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة يستعملونه في معنى، ثم جاء المولدون ونقلوه إلى معنى آخر واستعملوه فيه، مثال ذلك القطر وكان العرب يستعملونه في معنى المطر، أما المولدون فإنهم استعملوه في هذا المعنى وفي السكر المذاب وهذا الاستعمال لم يعرفه العرب، ومثله القطار الذي كان يدل عند العرب على تقاطر الإبل، ثم ولد منه معنى جديد وأصبح يدل على عدة مقطورات تجرها العربة وتسير على سكة حديدية[1].

5/فائدة المولد وأقوال العلماء فيه:

إنّ لفظ "المولد" في المعاجم العربية وعند علماء اللغة عامة ما كان يختص بالدخيل عامة ولكنه كان يطلق على ما ليس أصلا في العربية، عربيا كان أو غير عربى دون تمييز ولا يعترض على ذلك بمثل قول الخليل : «فإن ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق والشفوية فاعلم أنه مولد ليس من صحيح كلام العرب نحو الخضعثج والكشعطج وأشباه ذلك [2]»، وقول غيره أنّ الطيج – وهو الضرب على الشيء الأجوف – مولد لاجتماع الطاء والجيم اللذين لا يجتمعان في كلامهم الأصلي.

ثم جاء الخفاجي فأولى "المولد" في كتابه " شفاء الغليل" عناية خاصة فاق بها من تقدموه، وعّد ذلك ميزه لكتابه على سواه، فقال: «وضممت إليه (أي المعرب) قسم المولد وهو إلى الآن لم يدّون في كتاب ولم يدفع عن وجوه مخدراته النقاب، وقد أوردت منه ما يسر الناظر ويشرح الخاطر مع شيء من النقد والرد»[3] ، فإن الخفاجي مع هذه العناية لم يختص "المولد" بكتاب، ولكنه في تلك العبارة دعا إلى ذلك .قد سار الخفاجي في كتابه على ما ذكرناه من معنى "المولد" عند القدماء، فهو طورا يطلقه على الألفاظ العربية إذا تغير مدلولها عند المولدين، مثل لفظة "متن" يقول عنها:«متن متناً الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال ويطلق على الظهر بجملته وهو معنى شائع أيضاً و المقصود هنا بيان ما استعمله المولدون في الكتاب الأصل

[1] المولد في العربية:حلمي خليل،دار الهلال،1957م،ج89/3.

[2] التهذيب في أصول التعريب:أحمد عيسى،مطبعة مصر،القاهرة،ط1342/1هـ.

[3] شفاء الغليل فيما ورد من كلام العرب من الدخيل:الخفاجي:شهاب الدين أحمد محمّد،تصحيح ومراجعة :محمّد بن خلدون ،دار الجيل ،بيروت،لبنان،ط:1987،المقدمة.

الذي كتب أصول المسائل ويقابله الشرح وهذا لم يرد عن العرب، وإنما هو مما نقله العرف تشبيهاً بالظهر في القوة والاعتماد»[1].

بيد أننا قد لاحظنا في دارسة "المولد" عند الخفاجي ظاهرة تعتبر من الإضافات التي اختص بها كتابه وتفوق بها على تصانيف السابقين .وهي حرصه في أغلب الأحيان – إن لم يكن دائماً على وصف "المولد" غير العربي بأنه (معرب أو من غير العربية) يميزه بذلك عن المولد العربي الأصل .فهو حين يذكر كلمة "أدب" يقول عنها : «اصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشعر أديباً وعلوم ال عربية أدباً وسمو تلك العلوم أدباً وذلك مولد»[2]،فلا يزيد على أنها مولدة أي لم تسمع بهذا المفهوم إلاّ في عصر التوليد .ونحو ذلك يقول عن غيرها من الكلمات التي اتخذت لها دلالات أو صورا جديدة فيما بعد عصور الاحتجاج .لكنه يمكن أن يعرض للدخيل من الألفاظ المولدة نص على أنه معرب أو غير معرب، كما في قوله:«بأزهر معرب بادزهر وهي مولدة وهو معروف» .فإذا أخذنا هذه الخاصية في دراسة الخفاجي للمولد وأضفنا لها أن الخفاجي كان يورد عبا ا رت قد تفيد بعض الأحيان تخصيصه "المولد" بغير العربي، كقوله" :« "عفص" الذي يتخذ منه الحبر مولد وقيل عربي"، وقوله عن الأعجمي المعرب" :وهو سماعي فيما عربه المتأخرون يعد مولدا»[3]، وإذا أخذنا هاتين الملاحظتين في الاعتبار، اتضح لنا أن المحدثين إنّما اعتمدوا على الخفاجي استخلاصهم تعريفاً "للمولد" يقصره على ما عُرِب من الدخيل بعد عصور الاحتجاج .فقد كان ذلك هو أساس قول بعضهم:« المولد مقصور على السماع وهو سماعي وهو ما عربه المتأخرون».لا معنى للقول بسماعية المولد ما دمنا نعني به ما عربه المتأخرون بعد عصور الاحتجاج، لأنّ ما بعد عصور الاحتجاج، لا يعده زمن .ومثل ذلك أقوال أخرى لبعض المحدثين تقصر "المولد" على ما عرب من الدخيل بعد عصور الاحتجاج .«المولد قسمان :مولد إن كان من المتأخرين ومعرب فقط إن كان من قدماء العرب»[4].لقد ناقش مجمع اللغة العربية المصري قضية "المولد" واستمع إلى ما قدمه بعض أعضائه من تقسيمات خاصة بالمولد إلى ثلاثة أقسام:

1/ قسم عربي الأصل جرى المولدون فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز وحكمه أنه عربي سائغ.

2/ وقسم عربي خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب أما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة أو بوضع اللفظ ارتجالاً، والمجمع لا يجيزه في فصيح الكلام.

---

[1] نفسه:246.

[2] شفاء الغليل:49.

[3] نفسه:205.

[4] نفسه:المقدمة.

3/ وقسم أعجمي أصيل وذلك حكمه حكم المعرب إن جرى على طريقة المعرب، فإذا خرج على أقيسة العرب كان حكمة حكم القسم الثاني[1] .

بهذا يمكننا أن نستخلص قاعدة جديدة للتعريب بين المعرب والمولد .وذلك بأن نخضع اللفظ المشكوك في أمره لمقاييس المعرب، فإن جاراها كان معرباً وإلا عُد من قبيل المولد .بذلك يكون"المولد" هو ما لم يجر على أقيسة العرب في التعريب للألفاظ الدخيلة، فمثل هذا التعريب يمكن أن يسوغ إطلاقهم "المولد" على النوعين : الدخيل بعد عصور الاحتجاج والعربي المجرى على أقيستهم بعد عصور الاحتجاج والعربي المجرى على غير أقيستهم بعد عصور الاحتجاج .على ألا نرفض في هذا التفريق الاهتداء بما وصل إليه بعض الباحثين مثل قولهم: إنّ المعربين المتقدمين قد التزموا إزالة التقاء الساكنين الحاصل في بعض الألفاظ عند تعريبها، من ثم قالوا " ابزن" في تعريب "آب زن" ولكن المتأخرين لم يلتزُم ذلك فقالوا "راهنامج "، في تعريب " راه نامه " أي الكتاب الذي يهتدي به ركاب البحر، وقالوا " نشاستج " في تعريب " نشاسته " أي النشاء الذي يعمل من الحنطة، فمثل هذه الملاحظات لا ترفض بل يمكن الاستعانة بها في الاهتداء إلى الفروق بين لمعرب والمولد.

[1] الاشتقاق والتعريب:عبد القادر مصطفى المغربي،القاهرة،ط1974/2م ،ص:67

المحاضرة الرابعة عشر:

ظاهرة الإعراب في اللغة العربية

1/تمهيد:

واجهت اللغة العربية تحديات كبيرة، سواء كان ذلك من قبل أعدائها، أو من قبل بعض المنتسبين إليها.وسيكون الحديث عن بعض تلك المشكلات والتحديات،وذلك من خلال الكلام على ظاهرة الإعراب، وإنكارها.

فلقد كانت ظاهرة الإعراب مثار جدل منذ زمن طويل؛ إذ كانت أوفر الحظ من العناية والاهتمام في جهود القدماء، فاستحوذت على تصور النحاة عامة في تراثنا إلى درجة الترادف مع مصطلح النحو؛حيث أصبح النحو إعرابا والإعراب نحوا[1]،وقد استعمل الجرجاني عبارة "لا علم له بالإعراب"ولم يقل لا علم له بالنحو مما يدل على أن مفهوم الإعراب عنده هو النحو[2]

وتعد ظاهرة الإعراب من أشد خصائص اللغة العربية وضوحا ،ومراعاته في الكلام هي الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة.وفي هذا الصدد قال ابن فارس:«فأما الإعراب فبه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك إن قائلا لو قال :(ما أحسنْ زيدْ) غير مُعرب،أو (ضرب عمرْ زيدْ) غير مُعرِب،لم يوقف على مراده .فإذا قال: (ما أَحسنَ زَيداً !) أو: (ما أحسنُ زيدٍ؟)،أو: (ما أحسنَ زيدٌ)،أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده»[3]

والإعراب مَعْلَمٌ من معالم العربية، ومفخرة من مفاخرها.وإنكاره ظاهرة غريبة، وقضية تستحق الوقوف عندها وبيان خطرها، وصد عاديتها.وقبل ذلك يحسن الوقوف على معنى الإعراب، وبيان أهميته.

2/ الإعراب في اللغة:

الإعراب لغة أعربت عن الشيء:إذا أبنته ،أو أفصحت عنه. والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وإنما سمي الإعراب إعرابا لتبيينه وإيضاحه، وروي عن النبي ﷺ [الثيب تعرب عن نفسها]،أي تفصح[4]

3/ الإعراب في الاصطلاح: أما في الاصطلاح فقد أعطي الإعراب تعريفات عدة ،وأقدم ما وقفنا عليه قول سيبويه: «فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب ...وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة

---

[1] ينظر:الإيضاح في علل النحو : 91

[2] ظاهرة الإعراب في القرآن الكريم-أحمد سليمان ياقوت:16

[3] الصاحبي:309.

[4] ينظر:لسان العرب : (عرب)،الخصائص:36/1.

وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع:الهمزة والتاء والياء والنون »[1] .فالإعراب عند سيبويه هو الرفع والجر والنصب والجزم.

ويعرفه ابن هشام على أنه أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة[2].والمراد بالأثر ما يحدثه العامل من الحركات الثلاث أو السكون، وما ينوب عنها.وبالظاهر: ما يلفظ به، وبالمقدر: ما يُنوى من ذلك كالضمة، والفتحة، والكسرة من نحو: الفتى، والنون في مثل: (لتبلون)[3].

وكان السهيلي يرى أن«الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلا،أو مفعولا أو نحو ذلك»[4].والإعراب أصل في الأسماء لأنه يفتقر إليه للتفرقة بين المعاني[5].أما الإعراب عند ابن مالك فهو: «عبارة عن المجعول آخر الكلمة مبنيا للمعنى الحادث فيها التركيب»[6] .

نستنتج مما سبق أن الإعراب هو الرفع والنصب والجر والجزم،وكذلك هو تغيير أو اختلاف أواخر الكلمة المعربة.وقد يكون الثر الظاهر أو المقدر في آخر الكلمة المعربة.

4/الإعراب وأقوال العلماء فيه:

يرى علماء العربية وجميع النحاة إلا من شذ منهم أهمية الإعراب، وأن لعلاماته وألقابه دلالاتٍ معينةً، وأغراضاً معنوية؛ فهي تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو غير ذلك.وأقوالهم في ذلك كثيرة جداً، وهذه نبذة من أقوال بعض العلماء:

قال ابن قتيبة : «ولها _ يعني العرب _ الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحليةً لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما _ إلا بالإعراب.ولو أن قائلاً قال: (هذا قاتلٌ أخي) بالتنوين، وقال آخر: (هذا قاتلُ أخي) بالإضافة _ لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله»[7] .

يقول الزجاجي: « فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام فما الذي دعا إليه، واحتيج إليه

---

[1] الكتاب:13/1.

[2] هذا تعريف ابن هشام ، ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ،49/1.

[3] ينظر :ضياء السالك، 49/1_50.

[4] نتائج الفكر في النحو-أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي-تح:محمد إبراهيم البنا-دار الإعتصام- 1984م.:82

[5] ينظر:الأشباه والنظائر:278/1

[6] المصدر نفسه :87/1

[7] تأويل مشكل القرآن :ابن قتيبة ،ص14.

من أجله؟.فالجواب: أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني،فتكون فاعلة ومفعولة،ومضافة ومضافا إليها،ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني فقالوا: "ضرب زيدٌ عمراً"فدلوا برفع"زيد"على أن الفعل له، وبنصب"عمرو"على أن الفعل واقع به... وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه،وتكون الحركات دالة على المعاني ».[1]

ويقول في موضع آخر: «وأصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للأفعال والحروف؛ لأن الإعراب إنما يدخل في الكلام؛ ليفرق بين الفاعل والمفعول، والمالك والمملوك، والمضاف والمضاف إليه، وسائر ذلك ما يعتور الأسماء من المعاني.وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا في الحروف»[2].

وقال أيضا: «ويسمي النحويون الحركات اللواتي تعتقب في أواخر الأسماء والأفعال الدالة على المعاني إعراباً؛ لأنها بها يكون الإعراب أي: البيان»[3].

وقال ابن جني: «باب القول على الإعراب: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه _ علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعلَ من المفعولِ، ولو كان الكلام شَرْجاً[4] واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه.

فإن قلت: فقد تقول ضرب يحيى بُشْرَى، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه _ قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله، أُلزِم الكلامُ من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب.

فإن كانت هناك دلالة أخرى من قِبَل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير؛ نحو أكل يحيى كمثرى _ لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت، وكذلك ضربتْ هذا هذه، وكلم هذه هذا، وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك: أكرم اليحييان البُشرَيِيْنِ، وضرب البُشَريين اليحيون، وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس، فقلت: كلم هذا هذا فلم يجبه لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت؛ لأن في الحال بياناً لما تعني.

وكذلك قولك: ولَدَتْ هذه هذه، من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة، غير منكورة.وكذلك إن

---

[1] الإيضاح في علل النحو : 69، 70

[2] كتاب الجمل في النحو :الزجاجي، ص260.

[3] كتاب الجمل في النحو: ص261-262.

[4] الشرج: النوع والضرب.

ألحقت الكلام ضرباً من الإتباع جاز لك التصرف لما تُعقِب من البيان، نحو ضرب يحيى نفسَه بُشرى، أو كلم بشرى العاقلَ مُعلَّى، أو كلم هذا وزيداً يحيى.ومن أجاز قام وزيد عمرو لم يُجِزْ ذلك في نحو (كلم هذا وزيد يحيى) وهو يريد كلم هذا يحيى وزيد، كما يجيز (ضرب زيداً وعمرو جعفر) »[1].

وهكذا يتبين لنا أن العلماء القدماء يتفقون على أهمية الإعراب، وضرورته، ويبينون أن الجملة لو كانت غُفْلاً من الإعراب لاحتملت معاني عدة؛ فإن أعربت نَّصت على معنى واحد[2].

وقد تبعهم في ذلك أكثر المحدثين، ومنهم المستشرقون؛ فكثير منهم أقر بأن الإعراب هو المميز للغة.

5/إنكار الإعراب :

يعد إنكار الإعراب من المشكلات التي تثار ضد العربية في الوقت الحاضر؛ فهي اللغة الوحيدة التي ينادى دائماً بتخفيفها وتسهيلها مع أنها ليست اللغة الوحيدة التي لها قواعد وضوابط؛ فلغات العالم الأخرى لها نظمها الخاصة، وقواعدها الثابتة التي يتعصب لها أبناؤها، ويحاولون الالتزام بها كما يحاول ذلك من يحاول تعلمها من غير أهلها.

ولم نسمع في أي لغة من لغات العالم أنْ حاول أو طالب أبناؤها بتغيير قواعدها، أو تسهيلها، مع أنها لا تملك ما تملكه العربية من مقومات القوة، والبقاء، والنماء، ومواكبة الجديد، وما إلى ذلك مما مر ذكره.ومن أخطر تلك الدعاوى دعوى إنكار الإعراب، وما يترتب على تلك الدعوى من خطر على العربية.

ولقد مر بنا أن جميع النحاة العرب يرون أن حركات الإعراب تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة أو غير ذلك.ولم يخالف في ذلك في العصر القديم إلا عالم هو أبو علي مُحَمَّد بن المستنير المعروف بـ "قطرب".

وبهذا يكون أول من قال بهذه الظاهرة كما نقل ذلك عنه الزجاجي.ومؤدى هذا الرأي الذي ارتآه قطرب ؛ أن حركات الإعراب الثلاث إنما جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام،ثم يفسر بعد ذلك سبب اختيارهم للعلامات الإعرابية، ويقرر بأنها ليست ذات أثر ولا دلالة على المعاني.

هذا هو خلاصة رأي قطرب في الإعراب، وإليك نص كلامه في هذا الشأن؛ إذ يقول: «وإنما أعربت العرب كلامها؛ لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصْلَه بالسكون أيضاً لكان يلزمه

---

[1] الخصائص : 89/1.

[2] ينظر: فصول في فقه العربية، ص328.

الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطِّؤون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان؛ ليعتدل الكلام؛ ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو كلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطؤون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان»[1].

قال السيوطي بعد إيراد كلام قطرب: «وقال المخالفون له رداً عليه: لو كان كما ذكر لجاز جر الفاعلِ مرة، ورفعه أخرى، ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه؛ لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل بها الكلام؛ فأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك ،وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب، وحكمة نظم في كلامهم.

واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب، واختلاف المعاني واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدم ذكرها بأن قالوا: إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال لأنه يذكر بعدها اسمان: أحدهما فاعل والآخر مفعول، ومعناهما مختلف؛ فوجب الفرق بينهما، ثم جُعل سائر الكلام على ذلك»[2].

وقال الدكتور رمضان عبدالتواب بعد إيراده كلام قطرب: «هذا هو رأي قطرب، وهو رأي لم يسبقه به أحد ــ فيما نعلم ــ ولم يتابعه عليه غيره من اللغويين أو النحويين، فيما عدا أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس، في كتابه القيم (من أسرار اللغة)، ويظهر أنه تأثر برأي قطرب هذا؛ إذ أشار إليه ناقلاً إياه عن كتاب (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى »[3].

ويقول د. إبراهيم السامرائي عن رأي قطرب: «وهذا الرأي غريب في جملته، وقد انفرد فيه صاحبه، ولم يؤيده فيه إلا الدكتور إبراهيم أنيس بعد أحد عشر قرناً ووجه الخطل في هذا الرأي أن العربية كانت معربة منذ أقدم العصور، والنصوص شاهدة على ذلك.وقد كان هذا الإعراب سهلاً على الألسنة، ثم ثقل، وصعُب حين فسدت الطبائع العربية، وفشا اللحن، وتحول المجتمع العربي الخالص إلى مجتمع ضخم فيه أجناس شتى، ولا سيما في الحواضر العربية »[4].

وهكذا فتح قطرب باباً واسعاً لمن أراد التحامل على العربية وإن لم يكن يقصد ذلك؛ فلقد وجد المستشرقون

---

[1] الإيضاح في علل النحو: 70، والأشباه والنظائر : 93/1.

[2] الأشباه والنظائر : 1/ 93-94 .

[3] فصول في فقه اللغة العربية :ص373.

[4] فقه اللغة المقارن :د. إبراهيم السامرائي، ص121.

وأعداء الإسلام من هذه الفكرة منفذاً للطعن في العربية، ومحاولة إضعاف أثرها في نفوس أهلها.

6/المستشرقون والإعراب:

انقسم المستشرقون إلى قسمسن ،قسم يؤيد وجود الإعراب ،وقسم آخر لا يقر بوجوده ، بل جعلوا من رأي قطرب ذريعةً للنيل من العربية؛ لأن الإعراب أهم خصائصها.

6-1/المستشرقون الذين ينكرون الإعراب:من المستشرقين الذين لا يرون الإعراب :

كارل فوللرز"Karl Vollers": وذلك في كتابه: (اللغة الشعبية واللغة الأدبية في الجزيرة العربية القديمة).وهذا الرجل من أكثر الحاقدين على العربية.وخلاصة رأيه يتمثل فيما يلي:

أ-يرى أن فكرة النحو كانت مصنوعة، وأنه ليس موجوداً في العربية الجاهلية، وإنما صيغت بعد ذلك.

ب-يرى أن النص الأصلي القرآني قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية السائدة في الحجاز.

ج-يرى أنه لا يوجد في اللهجات السائدة ما يسمى بالإعراب.

د-ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة حية في مكة على عهد النبي ".

هـ-يشك في أن يكون الذين خرج من بينهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة.

كوهين"Cohen": وهو مستشرق فرنسي، وهو صاحب كتاب (لغات العالم).لما درس العربية وجد أن الشعر العربي لا يمكن أن يقوم إلا على قواعد إعرابية، فخرج من ذلك بنتيجة يقول فيها:

إن قواعد الشعر تقوم على الإعراب، ولابد من ذلك.أما النثر فمن الصعوبة بمكان تطبيق القواعد فيه،فهو يتصور بأن النحو صعب، ويشبهه بحالنا الآن؛ فعندما يلقي أحدنا كلمة أو خطاباً يحرص على تطبيق القواعد فيه.وعندما يعود إلى البيت، أو يغشى المجالس العامة فإنه يعود إلى العامية.

باول كاله "paul E Kahle": حيث عقد في كتابه "الذخائر القاهرية" فصلاً عنوانه: "نص القرآن العربي".يقول فيه: «جمع نص القرآن بعد وفاة النبي ﷺ بمدة وجيزة في عام 632م، وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان 644-655، وهنا قامت مشكلة كيف يقرأ هذا النص ويرتل؟ فقد ولد مُحَمَّد ﷺ" بمكة، وانحدر _ كمعظم مواطنيه _ من القبيلة العربية (قريش).وكانت اللغة العربية التي يتكلمها هي لغة المواطن المثقف في مكة.والنص القرآني الخالي من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية التي كانت تُتكلم في مكة، غير أن العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية نموذجاً للنطق الصحيح، فبهذه اللغة نظم الشعر العربي الجاهلي، وكان كل عربي مزهواً بذلك.وإذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة أقل مستوى من أية لغة أخرى _ فقد بدأت العواصم الإسلامية في ذلك العصر المبكر _في الكوفة، والبصرة، والمدينة، ومكة_

دراسة نشيطة للشعر البدوي، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية يذهبون إلى جيرانهم من البدو، ويجمعون ما أمكنهم من أشعارهم، وما يتصل بها من الحكايات، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة التي جمعت تحت عنوان: (أيام العرب).وقد اتُّخذت المادة التي جُمعت بهذه الطريقة أساساً للعربية النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها، ومع ذلك لم تتغير كتابة المصحف، بل ابتدعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص؛ لضمان صحة القراءة".

ثم يقول باول كاله: "ولم تذكر كتب القراءات بوجه عام شيئاً عن النشاط المبكر للقراء، فقد ضاعت أو أهملت تلك الكتب التي ذكرت شيئاً عن هذا النشاط فيما عدا خبراً عثرت عليه مؤخراً، ويمكن أن نرى من خلاله ذلك التطور»[1].

يقول د. رمضان عبدالتواب معلقاً على ذلك: «ويظن باول كاله أنه عثر على بغيته في اقتباس عن الفراء وَجَدَهُ في مجموعة مخطوطة بمكتبة (تشستربتي) chester Beatty رقم 705 وفيه: =قال الفراء: وقد رأينا أهل القراءة الذين يعرفون الكتاب والسنة من أهل الفصاحة اجتمعوا على أنه نزل بأفصح اللغات، فاعترض في ذلك أقوام ممن ينظر في الأشعار وأيام العرب، فقالوا: إنما فضل القرآن من فضله؛ لما أوجب الله من تعظيم القرآن، فإذا صرنا إلى الفصاحة وجدناها في أهل البوادي.واختلفوا في ذلك؛ فقال أهل الكوفة: الفصاحة في أسد؛ لقربهم جوارهم منهم.وقال أهل البصرة: الفصاحة في عَلْيا تميم وسُفلى قيس من عكل وعقيل.وقال أهل المدينة: الفصاحة في غطفان؛ لأنهم جيرانهم.وقال أهل مكة: الفصاحة في كنانة بن سعد بن بكر وثقيف.فأحببنا أن نردهم بالآثار، والقياس، والاعتبار إلى تفضيل لغة قريش على سائر اللغات...قال: وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ: عتى حين، يريد: حتى حين، فقال: من أقرأك هذا؟ قال: عبدالله بن مسعود.قال: فكتب إلى عبدالله: إن القرآن نزل بلغة قريش، ولم ينزل بلغة هذيل فأقرئه الناس بلغة قريش، ولاتقرئنهم بلغة هذيل.وقال أبو بكر الصديق ÷: إن إعراب القرآن لأحب إلي من حفظ بعض حروفه...وقال ابن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه؛ فإنه عربي، والله يحب أن يُعْرَب".

وقد علق (كاله) على كلمة: (إعراب) في نص أبي بكر الصديق، بقوله: =الإعراب يعني الحركات في أواخر الكلمات العربية طبقاً لقواعد العربية الفصحى.وقد استنتج (كاله) من ذلك أن =الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدن إعراب، وأريد له أن يقرأ بالإعراب الذي عُدَّ في وقت متأخر من مظاهر القُحَّة اللغوية).

[1] فصول في فقه العربية:378-379.

وهو مخطئ في استنتاجه ذلك؛ لأن الإعراب بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفاً في أيام أبي بكر وابن مسعود.ومعنى كلمة (إعراب القرآن) في هذه الأحاديث _ إن لم تكن مزيفة _ هو الوضوح والبيان في قراءة القران الكريم»[1].

6-2/المستشرقون الذين يرون الإعراب:

إذا كان المستشرقون: كاله، وفوللرز، وكوهين يرون هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب _ فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية، وفندوا الأقاويل التي ترى خلاف ذلك.ومن أبرز هؤلاء اثنان هما:

1_ المستشرق نولدكه: وهو من المستشرقين الذين درسوا اللغات السامية، وفيه جانب من الإنصاف، وله مقالة بعنوان: (ملاحظات على لغة العرب القدامى).

يقول د. رمضان عبدالتواب بعد أن ساق رأيي فوللرز، وكاله:وإذا كان هذان المستشرقان: فوللرز و كاله يريان هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب _ فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية، مثل نولدكه الذي يرى في مقالة له بعنوان: (ملاحظات على لغة العرب القدامى):أنه من غير المعقول أن يكون مُحَمَّد (ص)" قد استخدم في القرآن لغة تخالف كل المخالفة تلك اللغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم.

كما يرى نولدكه:أن شعر ذلك العصر كان يمثل لغة البدو التي كانوا يتحدثون بها في ذلك الوقت، والتي ظلوا يتحدثون بها زمناً طويلاً بعد ذلك.

ولا يغير من هذه القضية شيئاً أن لغة الشعر بها بعض الاختلاف عن لغة الحياة العامة، وأن الشاعر ما كان يضطره وزن الشعر وأسلوبه إلى الاتيان بتعبيرات خارجة عن المألوف، وغير ذلك من الأمور التي لاحظها كذلك قدامى اللغويين العرب، وسجلوها بدقة.

ويستطرد نولدكه في مقاله هذا إلى أن:فنسشتاين كان يرى هو الآخر أن لغة الشعر مصنوعة تماماً فقد درس العربية الحديثة، وتأثر بها إلى درجة أنه أصبح يرى أن القواعد التي نطالب بها من يريد التحدث بالعربية الفصحى عديمة الجدوى.

ولم يذهب فوللرز إلى هذا الحد من التفكير بالنسبة للعربية، ولكنه كان يرى أن اللغويين العرب قد جمعوا عناصر الإعراب بمهارة فائقة وأكملوها.

---

[1] فصول في فقه العربية:379-380.

ويرى نولدكه كذلك أنه:من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي (ﷺ)" لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو.

ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيراً في الحديث اليومي قد عودت الأذن على سماع الصيغة الخالية من الإعراب؛ فاستطاع أحد الشعراء استخدامها عند اتصال الكلام كذلك، وعلى الأخص في صيغة المضارع التي لا تتلاءم كثيراً من وزن الشعر.

كما يرى نولدكه في الفصل الذي كتبه عن (لغة القرآن) في كتابه: (مقالات جديدة في علم اللغات السامية) أنه:لو كان النبي " أو أحد معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لنا آثار منها.وأخيراً يرى نولدكه كذلك أن =لهجةً شديدة الانحراف عن عربية النحاة، لا يناسبها مطلقاً بحور الشعر المعروفة[1].

2_ المستشرق يوهان فك: حيث قال في كتاب له اسمه (العربية) ونقله عنه د. رمضان عبدالتواب: =لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بِسِمَةٍ من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية _ باستثناء البابلية القديمة _ قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي.

وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب البادية _ من قبل العهد الإسلامي ومن بعده _ ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السطان كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا _ حتى القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي على الأقل _ يختلفون إلى عرب البادية؛ ليدرسوا لغتهم _ تدل على أن التصرف الإعرابي كان بالغاً أشده لذلك العهد، بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البائدة ظواهر الإعراب[2].

1_ فصول في فقه العربية ص336_337.

2_ فصول في العربية ص338.

قائمة المصادر والمراجع المساهمة في إعداد هذه المحاضرات

- القرآن الكريم رواية حفص لقراءة عاصم(قرص مضغوط).

-أسس علم اللغة: ماريو باي ،ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب بالقاهرة الطبعة الثانية 1983

-الأشباه والنظائر في النحو:جلال الدين السيوطي،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط:1/1984م.

-الاشتقاق والتعريب:عبد القادر مصطفى المغربي،القاهرة،ط2/1974م .

-الأصوات اللغوية:مُحَمَّد علي الخولي،دار الفلاح للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،1990.

-الإيضاح في علل النحو : الزجاجي،تح:مازن المبارك،دار النفائس،بيروت،ط:4/1984م.

-البنية اللغوية في اللهجة الباهلية:دراسة في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، عبد القاهر عبد الجليل ،دار صفاء ،الأردن ،ط:1 /1417هـ-1997م.

-البيان في روائع القرآن،دراسة لغوية وأسلوبين للنص القرآني:تمام حسان،عالم الكتب للنشر،القاهرة، ط1413،1هـ-1993م

-التطور اللغوي مظاهره وعلله: رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1404هـ/1983م .

-التعريفات ، علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان ،طبعة جديدة/1985م.

-التهذيب في أصول التعريب:أحمد عيسى،مطبعة مصر،القاهرة،ط1/1342هـ

-الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: مُحَمَّد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

-خصائص الحروف العربية ومعانيها: عباس حسن ،منشورات اتحاد كتاب العرب ،سوريا ،1998م .

-دراسات في فقه اللغة:صبحي الصالح،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،2009.

-دلالة الألفاظ: أنيس، إبراهيم ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991.

-سر صناعة الإعراب :ابن جني :تح:مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1 / 2000م.

-شفاء الغليل فيما ورد من كلام العرب من الدخيل:الخفاجي:شهاب الدين أحمد مُحَمَّد،تصحيح ومراجعة : مُحَمَّد بن خلدون ،دار الجيل ،بيروت،لبنان،ط:1987.

-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- ابن فارس أبو الحسين أحمد – مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة – 1977.

- ظاهرة الإعراب في القرآن الكريم-أحمد سليمان ياقوت،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، مصر،ط: 1994م.

-علم الأصوات اللغوية –الفونيتيكا :د.عصام نور الدين ،دار الفكر اللبنانب ،ط1/1992.

-علم الدلالة :عمر، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة،1985.

-علم الصوتيات:د/عبد العزيز أحمد علام و د/عبد الله ربيع محمود ،مكتبة الرشد ،السعودية ،1430هـ/2009م ..

-علم اللغة :د. حاتم الضامن ،مطبعة التعليم العالي، الموصل، العراق،1989.

-علم اللغة:علي عبد الواحد وافي،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،مصر،ط9 /2004 .

-علم اللغة العام ، الأصوات:الدكتور كمال مُحَمَّد بشر ، القاهرة 1970 .

-علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية:محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت ،1973م .

-علم اللسانيات الحديثة – نظم التحكم وقواعد البيانات - :د/ عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1/1422هـ-2002م .

-علم وظائف الأصوات اللغوية –الفونولوجيا -:نور الدين عصام ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،ط1/ 1992م.

-فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،الطبعة السادسة1420 هـ/1999م

-فقه اللغة :حاتم صالح الضامن،مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر،الموصل ،بغداد،1990 .

-فقه اللغة:علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر،ط2/2004.

-فقه اللغة في الكتب العربية: عبده الراجحي،دار النهظة العربية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.

-فقه اللغة :مفهومه – موضوعاته – قضاياه:مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد،دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع،السعودية ، ط1/1426هـ-2005م،

-فقه اللغة المقارن ، د. إبراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 3 ، 1983 م

-فقه اللغة ،مناهله ومسائله:الدكتور مُحَمَّد أسعد النادري،المكتبة العصرية، صيدا،بيروت ،لبنان،2009 م/1430هـ..

-فقه اللغة وخصائصها:إميل بديع يعقوب،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط1/1982 .

-في اللهجات العربية:د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8/1990م.

-القاموس المحيط، الفيروز آبادي مُحَمَّد بن يعقوب، ، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، بيروت لبنان ط:2/1407/1987.

-كتاب الصناعتين: أبو الهلال العسكري ،تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2/1989م.

-كتاب العين:الخليل بن أحمد الفراهدي،تح:إبراهيم السامرائي،ومهدي المخزومي،وزارة الثقافة والإعلام العراقية:1985م

-كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي مُحَمَّد علي بن علي الفاروقي التهانوي، دار صادر، بيروت ،دط، دت.

-الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) :الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، تحقيق عدنان درويش ومُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة،بيروت ، الطبعة الأولى 1412هـ/1992م

-لسان العرب: ابن منظور، دار صادر بيروت ، دط،1374هـ/1955م.

-مجالس ثعلبة:لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب،تح:عبد السلام مُحَمَّد هارون،دار المعرف،مصر،النشرة الثانية،دت.

-محاضرات في فقه اللغة:د/زبير دراقي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1994.

-مدخل إلى اللسانيات: د.رضوان القضماني ،منشورات جامعة البعث ،مديرية الكتب والمطبوعات ،1988-1989م ..

- مناهج البحث في اللغة :تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 م .

-المولد في العربية:حلمي خليل،دار الهلال،1957م .

-نتائج الفكر في النحو:أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي،تح:مُحَمَّد إبراهيم البنا،دار الاعتصام، 1984م.

-الوجيز في فقه اللغة ، مُحَمَّد الأنطاكي ،مكتبة دار الشرق،لبنان،ط:1، دت.

فهرس الموضوعات:

معهد الآداب واللغات
المجلس العلمي
المركز الجامعي بغليزان

توطئة:.....
وصف المقرر : المواضيع المطلوب بحثها وشمولها :.....
المحاضرة الأولى: مدخل إلى فقه اللغة العربية(نشأة المصطلح،مفهومه،الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة).
1/نشأة فقه اللغة:(philology): 1
2/فقه اللغة ضمن المصطلحات اللغوية:..... 4
2-1/-تعريف كلمة فقه:..... 5
2-2/تعريف كلمة اللغة:..... 5
3/مفهوم مصطلح فقه اللغة باعتبار تركيبه:..... 6
4/مفهوم مصطلح علم اللغة: 6
5/ الخلط بين المصطلحين: 7
6/الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة :..... 7
7/أهداف فقه اللغة:..... 9
8/موضوعات فقه اللغة:..... 10
المحاضرة الثانية:نظريات نشأة اللغة الإنسانية(الوحي والإلهام،التواضع والاصطلاح،المحاكاة
1/تمهيد:..... 11
2/ نظرية التوقيف ،أو الوحي والإلهام :(الفريق السنّي). 11
2/نظرية التواضع والاصطلاح (فريق المعتزلة):..... 13
4/ نظرية التقليد والمحاكاة:..... 15
5/ نظرية الغريزة الكلامية: 16
المحاضرة الثالثة:اللغة العربية واللغات السامية (اللغة العربية ولهجاتها).
1/ اللغات السامية:..... 18
2/ الموطن الأصلي للغات السامية :..... 18
3/ الخصائص المشتركة بين اللغات السامية :..... 22
3-1 الخصائص الصوتية :..... 22
3-2 الخصائص الصرفية : 22

3-3 الخصائص النحوية :.....23
3-4 الخصائص المعجمية : 23
4 الاختلاف بين اللغات السامية: 23
4-1-المستوى الصوتي: 23
4-2 المستوى الصرفي: 24
4-3 المستوى النحوي: 24
4-4 المستوى المعجمي: 25
5 العربية ولهجاتها: 25
5-1 / العربية البائدة وأهم لهجاتها: 26
5-1-1/الثمودية: 27
5-1-2/الصفوية: 27
5-1-3/اللحيانية: 27
5-2/ العربية الباقية وأهم لهجاتها: 27
5-3/آراء العلماء القدماء والمحدثين حول نشأة اللغة المشتركة: 29
المحاضرة الرابعة:العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها:
1/ تمهيد: 33
2- اللفظ: 34
3- المعنى: 34
4- علاقة اللفظ بالمعنى عند اليونانيين والهنود: 35
4-1/ نظرة الفلاسفة اليونان إلى اللفظ والمعنى: 36
4-2 / نظرة الهنود إلى اللفظ والمعنى: 36
5- علاقة اللفظ بالمعنى عند علماء العرب القدامى: 37
6- العلاقة بين اللفظ والمعنى عند المحدثين : 39
6-1/رأي المحدثين العرب: 40
6-2/ رأي المحدثين الغرب : 40
المحاضرة الخامسة:النبر في اللغة العربية.
1/مفهوم المقطع في اللغة والاصطلاح: 43

1-1/ لغة: 43
1-2/ اصطلاحا: 44
2/ الخواص العامة للمقطع في اللغة العربية: 45
3/صور المقطع في العربية: 45
4/أنواع المقاطع في اللغة العربية: 46
5/ النبر(Accent) في اللغة والاصطلاح: 47
5-1/النبر لغة: 47
5-2/النبراصطلاحا: 48
6/أنواع النبر: 49
6-1/ نبر الكلمة: 49
6-2/ نبر الجملة : 50
6-3/ النبر التقابلي: 50
7/مواضع النبر في العربية: 51
8/العوامل التي تؤثر على مواقع النبر: 52
8-1/ الاشتقاق: 52
8-2/ إسناد الفعل إلى الضمائر: 53
8-3/ جزم المضارع: 53
المحاضرة السادسة:الأبنية والأوزان.
1مفهوم الأبنية:.....54
2/مفهوم الأوزان:.....55
3/عدد الصيغ والأوزان في العربية:.....55
4/تصنيف الصيغ والأوزان في العربية:.....56
5/نشأة الأبنية والأوزان:.....58
5-1/ تعدد معاني الأبنية: 58
5-2/ تعدد الصيغ للمعنى الواحد:.....59
5-3/ تفاوت الصيغ في حيويتها:..... 59

5-4/ تولد صيغ جديدة:.....59
6/تطور الأبنية والأوزان:.....60
المحاضرة السابعة:الترادف في العربية(مفهومه،أسبابه،اختلاف الدارسين حول وجوده).
1/الترادف في اللغة :.....62
2/الترادف في الاصطلاح:.....62
3/موقف الباحثين من الترادف:.....63
4/أسباب الترادف:.....65
5/فوائد الترادف:.....66
المحاضرة الثامنة: المشترك اللفظي في العربية:
1/ تعريف المشترك اللفظي:.....68
2/أسباب المشترك اللفظي:.....68
3/موقف الباحثين منه:.....70
4/أمثلة المشترك اللفظي:.....71
المحاضرة التاسعة: التضاد في اللغة العربية.
1/ تعريف التضاد في اللغة وفي الاصطلاح:.....73
1-1/لغة:.....73
1-2/اصطلاحا:.....73
2/موقف الباحثين منه:.....73
3/أسباب التضاد:.....76
المحاضرة العاشرة: الاشتقاق في اللغة العربية.(مفهومه،أنواعه،العام،الكبير ،الكبار)
1/ماهية الاشتقاق في اللغة وفي الاصطلاح:.....78
1-1/لغة:.....78
1-2/اصطلاحا:.....78
2/أنواع الاشتقاق:.....78
2-1/الاشتقاق الصغير أو الأصغر:.....79
2-2/أقوال العلماء في وقوع الاشتقاق في اللغة:.....80
2-3/الاشتقاق الكبير أو القلب:.....81

2-4/الاشتقاق الأكبر أو الإبدال: 83
2-4-1/الإبدال الصرفي :.....84
2-4-2/الإبدال اللغوي:.....84
2-5/الاشتقاق الكبّار أو النحت:.....84
3/موقف الباحثين منه:.....86
4/أنـــــــواعــه :.....86
4-1/ النحت النسبي:.....87
4-2/النحت الجملي:.....87
4-3/النحت الاسمي:.....87
4-4/ النحت الصفتي:.....87
4-5/ النحت الفعلي:.....88
5/أهم طرق النحت:.....88
المحاضرة الحادي عشر: المُعَـرَّب في اللّغـة العربية.
1/المعرب في اللغة و الاصطلاح:.....89
2/المعرب في القرآن الكريم:.....90
2-1/الفريق الأول: القائلين بالمنع:.....90
2-2/الفريق الثاني: القائلين بوقوعه: 91
2-3/الفريق الثالث: التوفيق بين الرأيين والجمع بين القولين:.....92
3/طريقة معرفة المعرب:.....93
4/دوافع التعريب: 94
1_ الحاجة أو الضرورة:.....94
2_ الإلغاز والإغراب:.....95
3_ الإعجاب وخفة اللفظ الأعجمي:.....95
المحاضرة الثانية عشر: الدخيل في اللّغـة العربية.
1/الدخيل لغة:.....96
2/الدخيل اصطلاحا: 96

3/ فائدة الدخيل وأقوال العلماء في الدخيل:.....97
المحاضرة الثالثة عشر:المولد في اللّغة العربية.
1/المولد في اللغة :.....100
2/المولد في الاصطلاح:.....100
3/أمثلة المولد:.....100
4/طرق التوليد:.....101
1-طريقة الاشتقاق:.....101
2-طريقة التعريب:.....102
3-الاستعمال التشبيه:.....102
5/ فائدة المولد وأقوال العلماء في المولد:.....102
المحاضرة الرابعة عشر: ظاهرة الإعراب وبناء الكلمة في العربية.
1/تمهيد:.....105
2/ الإعراب في اللغة:.....105
3/ الإعراب في الاصطلاح:.....105
4/الإعراب وأقوال العلماء فيه:.....106
5/إنكار الإعراب:.....108
6/المستشرقون والإعراب:.....110
6-1/المستشرقون الذين ينكرون الإعراب:.....110
6-1-1/كارل فوللرز"Karl Vollers":.....110
6-1-2/كوهين"Cohen":.....110
6-1-3/باول كاله "paul E Kahle":.....110
6-2/المستشرقون الذين يرون الإعراب:.....112
6-2-1/المستشرق نولدكه:.....112
6-2-2/المستشرق يوهان فك:.....113
قائمة المصادر والمراجع:.....114
فهرس الموضوعات:.....115

المجلس العلمي